الجنين

بين الخلق الإلهي والتلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب

الأستاذ الدكتور
فرج زهران محمد الدمرداش

قرآن كريم

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ صدق الله العظيم. الآيات ١٢-١٤- المؤمنون.

قال سبحانه : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ صدق الله العظيم. من الآيه ٦. الزمر

قال عز من قائل : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ صدق الله العظيم. من الآية ٢. الإنسان

قال سبحانه : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ صدق الله العظيم. الآيات ٥ – ٧. الطارق

سنة نبوية مطهره

قال ﷺ: " **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح** " أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم.

قال ﷺ: " **لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لخرج منها ولد وليخلقن الله نفساً هو خالقها** " أخرجه أحمد.

قال ﷺ: "... **من كُلّ يُخْلَق، من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة** " أخرجه أحمد.

قال ﷺ: ".... **اصنعوا ما بدا لكم، فما قضى الله فهو كائن، فليس من كل الماء يكون الولد** " أخرجه أحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى. خلق الإنسان علمه البيان، وفضله على الحيوان بنعمتي العقل وفصيح اللسان.

قال في محكم التبيان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. قال في محكم التنزيل : ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ ﴾ (٢).

واشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل في الهدى النبوي الكريم : " لو أن الماء الذي يكون منه الولد، أهرقته على صخرة، لخرج منها ولد، وليخلقن الله نفساً هو خالقها " (٣).

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، من المهاجرين والأنصار، ما تعاقب ليل ونهار، في الحياة الدنيا، وفي دار القرار، بجودك وكرمك يا عزيز يا غفار.

وبعد.....

فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾(٤).

وقال ﷺ: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ

---

(١) الآيات ٦ – ٨ من سورة الانفطار.

(٢) من الآية ٦ من سورة الزمر.

(٣) أخرجه أحمد، المسند ٤٦٥/١. والفتح الرباني ٣١/٢٠.

(٤) الآيات ١٢–١٤ من سورة المؤمنون.

فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد" (١).

الطفل بعض أبويه، وامتداد لهما، يرث منهما الكثير من الصفات، والخصائص الجسمانية والخلقية والعقلية، لأنه تخلق منهما. قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ (٢). أي من بين صلب الرجل وترائب المرأة. لا من الرجل وحده.

ولذلك لما سئل ﷺ: مم يخلق الولد ؟ قال ﷺ: " من كل يخلق. من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة"(٣).

إن الآيات الثلاث التي ذكرناها من سورة المؤمنون هي جماع وأصل خلق الإنسان في كتاب الله الذي يرجع تاريخ نزوله إلى القرن السابع الميلادي.

بينما لم يكتشف الميكروسكوب إلا في القرن السابع عشر الميلادي. أي بعد عشرة قرون من نزول القرآن الكريم. كتاب الله الخالد الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤).

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة مؤكدة لهذا ومفصلة له، بالحديث الذي ذكرناه آنفاً في مراحل تكوين الجنين في بطن أمه.

لذلك فإننا نتناول – بمشيئة الله – في هذا البحث بالدراسة والتفصيل ابن آدم. ذلك الإنسان الملئ بالأسرار الإلهية، والعجائب الكونية. نتناوله في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قبل أن يكون ماءً جارياً في أصلاب الآباء، وقبل أن ينتقل نطفة إلى أرحام الأمهات. أي منذ أن كان سلالة من طين. قبل خلق أبيه وأمه، أو بمعنى أصح قبل خلق آبائه وأجداده. ثم بعد

---

(١) أخرجه الشيخان. واللفظ لمسلم. البخاري كتاب القدر، (١) باب. حديث ٦٥٩٤، وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين" حديث ٧٤٥٤ ومسلم كتاب القدر. باب كيفية خلق الآدمى في بطن أمه حديث ٦٧٢٣.

(٢) الآيات ٥–٧ من سورة الطارق.

(٣) أخرجه أحمد. المسند ٤٦٥/١.

(٤) الآية ٤٢ من سورة فصلت.

نقله من الأصلاب إلى الأرحام نطفة من ماء مهين، ومراحل تكوينه وأطواره وهو جنين في بطن أمه، حتى اكتمال نموه، وخروجه إلى الدنيا بشراً سوياً، عن طريق الولادة التي تمر بمراحل مختلفة، يتمثل في كل منها قدرة الخالق سبحانه جلت عظمته مع التعرض بالشرح والتحليل، والإيضاح والتفصيل لكل هذه الأطوار التي تعتريه في الرحم وتفسير وبيان المراد بكل من : سلالة الطين، النطفة، النطفة الأمشاج، العلقة، المضغة، المُضْغَةُ الْمُخَلَّقَةُ وغيرُ المُخَلَّقَة – تكوين العظام، كساؤه باللحم، نفخ الروح، القرار المكين، الصلب والترائب، الظلمات الثلاث، الولادة. المتمثلة في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ (١).

كل ذلك نتناوله بمشيئة الله أولاً عند أهل العلم في الشريعة الإسلامية من مفسرين ومحدثين وفقهاء. ثم نتناولة ثانياً: عند الأطباء في علم الأجنة حسبما أثبتته معطيات العلم الحديث. والربط بين كلام أهل العلم في الشريعة، وكلام الأطباء في ذلك والتوفيق بينهما.

كما أننا سنتعرض بمشيئة الله إلى تحديد نوع الجنين وهو في بطن أمه، وإمكانية معرفة ذلك بالوسائل العلمية الحديثة، هل هو ولد أم بنت؟ وشبهة الإطلاع على الغيب التي تثار في ذلك والرد عليها. ومن المسئول عن تحديد نوع الجنين. هل هو الرجل أم المرأة.

وأيضاً التعرض إلى كيفية وضع الجنين في بطن أمه في بداية حمله، ثم تحوله من حال إلى حال، وتقلبه من مكان إلى مكان في نهاية الحمل، والحكمة من ذلك.

وكذلك حكمة الخالق سبحانه جلت قدرته في وضع السيدة مريم، وإيجادها وهي حامل بجوار نخلة رطب بالذات دون غيرها. وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (٢).

وما أثبتته معطيات العلم الحديث من فوائد الرطب للحامل دون سواه.

---

(١) الآية ٢٠ من سورة عبس.

(٢) الآية ٢٥ من سورة مريم.

كما أننا سنتعرض – بمشيئة الله – إلى الإشارة الكريمة، واللفتة العظيمة وهي إشارة القرآن الكريم إلى انفعال الحامل بما حولها من ظروف وأحوال، ومدى تأثير ذلك على حالتها النفسية قبل الولادة.

المتمثل في قوله جلت قدرته للسيدة مريم : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا ﴾[1] ثم ما أثبته الطب الحديث في ذلك. وغير ذلك كثير مما أفاضت به الشريعة الإسلامية الغراء التي لا يشق لها غبار في هذا الميدان.

مما يدل على علو كعبها وطول باعها في هذا المجال.

ثم جاء الطب الحديث في القرن العشرين، بمعطياته العلمية الحديثة، مقراً بذلك كله في نتائج عملية، وحقائق مؤكدة لا تقبل الشك أبداً.

لكن الشريعة الإسلامية أخبرت به منذ خمسة عشر قرناً من الزمان، من خالق الإنسان ومنشئه، ومصوره وموجده. ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، سبحانه. لا يضل ربي ولا ينسي.

(١)من الآية ٢٦ من سورة مريم.

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

تظهر أهمية هذا الموضوع، في إظهار قدرة الخالق سبحانه في خلق الإنسان، ومراحل تكوينه في بطن أمه. بنصوص الكتاب والسنة. وقبلها كان نطفة من ماء مهين في صلب أبيه، وقبلها كان سلالة من طين، فإذا هو يلقي به في صلب أبيه بقدرة الخالق سبحانه، ثم بهذه القدرة أيضاً ينقل من صلب أبيه إلى رحم أمه، يصح بصحتها، ويمرض بمرضها، يفرح بفرحها، ويحزن بحزنها، يتغذي بغذائها، ويشعر بالألم وهو في رحمها. حتى تنتهي له المدة المقررة شرعاً، ويخرج إلى الدنيا بشراً سوياً، بعد أن أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً.

كل هذا يتم بطلاقة القدرة الإلهية، لأنه خلق إلهي. ماء الرجل يوضع في رحم زوجه عن طريق الاتصال الجنسي المشروع، الذي لا دخل ليد البشر فيه على الإطلاق، حتى ولا الزوجين أنفسهما.

وقال ﷺ : " إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعضو منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى، ثم أحضره في كل عرق له دون آدم – في أي صورة ما شاء ركبك "– جامع العلوم والحكم ص٤١. قال ابن منده : إسناده متصل مشهور على رسم أبي عيسى والنسائي وغيرهما.

بخلاف التلقيح الصناعي الذي تتدخل يد البشر فيه. فقد يحصل الخطأ والنسيان، فتختلط نطفة هذا الزوج بذاك، عن طريق اختلاط الأنابيب في المختبر، وتوضع في رحم زوجه، وتحمل بولد ليس منه، وتلده على فراشه، يتربي في بيته، ويرثه بعد موته، ويصير محرماً لبناته، وهو ليس بولده، بل غريب عنه وأجنبي.

ناهيك عن تعمد هذا، في غيبة ضمير الطبيب، فيضع في رحم المرأة، عمداً وقصداً ماء غير ماء زوجها، ابتغاء المال أو الشهرة، أوهما معاً. فيكون الإثم العظيم، والجرم الخطير، إذ يلتقي هذا مع الزنى في إطار واحد، لأن النتيجة

واحدة، وهي وضع ماء رجل أجنبي قصداً في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية.

لهذا : اخترت هذا الموضوع، لأستفيد وافيد من دراسته وبحثه. ووسمته بهذا العنوان، الذي يجمع بين الأمرين : " الجنين بين الخلق الإلهي. والتلقيح الصناعي. وأطفال الأنابيب ".

منهجي في البحث :

أولاً: من الناحية العلمية البحثية التخصصية :

أورد المعلومة أو المسألة، أتتبع أثرها، وأسبر غورها، أبحثها بحثاً مستفيضاً، وأدرسها دراسة متأنية، مفصله مستوعبة.

ذلك كله في الشريعة الإسلامية أولاً. لدى الفقهاء والمفسرين والمحدثين. مستدلاً لهم من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ، أو من أحدهما، أو من أقوال الصحابة أو التابعين، أو الموثوق بهم من أهل العلم. وذلك كله بعد بيان معناها عند أهل اللغة.

ثم أبحثها بنفس الأسلوب، وبنفس الطريقة عند الأطباء، أهل الذكر في بابهم وميدانهم، وأثبت ما قالوه فيها أيضاً. ثم أطوع ما أثبته الطب الحديث، وقرره وأكده بمعطياته العلمية الحديثة، وتقنياته ومختبراته. أطوع ذلك للشريعة الإسلامية. من غير هوى أو تعصب، بل داعماً ذلك بالدليل النقلي أو العقلي أو كليهما. لأثبت بهذه الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة أن ما جادت به قرائح البشر من مخترعين ومفكرين، وأثبتوه بالحقائق العلمية المؤكدة، قد أثبتته الشريعة الإسلامية قبلهم، بل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. ففضل السبق لها بلا منازع.

وهذا يدل على سمو الشريعة الإسلامية الغراء وكمالها، وعلو كعبها وطول باعها، وأنها لا يشق لها غبار في هذا الميدان، وفي كل ميدان. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾. الآية ١٤. الملك.

ولنرد به على الملاحدة الذين ينكرون ذلك، ويرجعون الفضل في المخترعات العلمية، والتقدم العلمي، لأنفسهم وعقولهم وقرائحهم. قاتل الله كل عدو للإسلام، فاسد النية، خبيث الطوية، منكر للشريعة الإسلامية.

ثانياً: من الناحية العلمية والفنية :

١- أقوم بعزو الآيات القرآنية إلى أرقامها وسورها.

٢- أقوم بتخريج الأحاديث والآثار من المصادر الأصيلة. فإذا كان الحديث أو الأثر في الصحيحين، أو في أحدهما، فإنني أكتفي بذلك، لمكانهما من الصحة، وإذا كان في غيرهما خرجته من المصادر المعتمدة الأصيلة.

٣- أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث. باستثناء المعاصرين.

٤- أوثق المعلومة التوثيق اللازم والمناسب – إن شاء الله – سواء أكانت من كتب التراث أم من المراجع أو الكتب الحديثة. وسواء أكانت شرعية، أم لغوية، أم طبية.

٥- أقوم بعمل الفهارس الفنية اللازمة. وذلك على النحو التالي :

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الألفاظ الغريبة.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وتسعة فصول وخاتمة.

وهذا هو الفصل الأول من البحث والفصول الباقية تأتى بمشيئة الله تعالى فى أجزاء أخرى ...

المقدمة : أهمية الموضوع، وسبب اختياره ومنهجي في البحث، وخطة البحث

الفصل التمهيدي: الحيض والحمل بين الفقهاء والأطباء، واستحباب طلب الولد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الحيض والحمل عند الفقهاء وفيه مطلبان :

المطلب الأول: أنواع الدماء التي تخرج من الرحم، وتعريف كل نوع

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول: الحيض.

الفرع الثاني: الاستحاضة.

الفرع الثالث: النفاس.

المطلب الثاني: الدم الذي تراه الحامل.

المبحث الثاني: الحيض والحمل عند الأطباء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الحيض طبياً، بيان أوصافه، كيفية حساب دورة الحيض طبياً.

المطلب الثاني: تطابق وصف النبي ﷺ لدم الحيض مع معطيات الطب الحديث.

المطلب الثالث: سبب الحيض طبياً.

المطلب الرابع: دم الاستحاضة. والفرق بينه وبين دم الحيض عند الأطباء.

المبحث الثالث: استحباب طلب الولد.

الفصل الأول
أطوار خلق الإنسان

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (سلالة الطين)

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (نطفة في قرار مكين)

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: النطفة (الماء الدافق).

المطلب الثاني: الصلب والترائب.

المطلب الثالث: النطفة الأمشاج (نطفة الزيجوت)

المطلب الرابع: تعريف الجنين في اللغة وعند الفقهاء والأطباء.

المطلب الخامس: القرار المكين. (الرحم)

المبحث الثالث: قوله تعالى : " ثم خلقنا النطفة علقة " (العلقة)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: العلقة في اللغة وعند المفسرين.

المطلب الثاني: العلقة في علم الأجنة.

المبحث الرابع: قوله تعالى: " فخلقنا العلقة مضغة " (المُضْغَةُ الْمَخَّلَقةُ وغيرُ المُخَلَّقَة).

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: المضغة في اللغة وعند المفسرين.

المطلب الثاني: المضغة في علم الأجنة.

المبحث الخامس : قوله تعالى: " فخلقنا المضغة عظاماً " (تكوين العظام).

المبحث السادس: قوله تعالى: " ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (نفخ الروح)

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الخلق الآخر عند المفسرين والأطباء.

المطلب الثاني: الروح. ماهيتها، وأقوال العلماء فيها.

المبحث السابع: قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾(الظلمات الثلاث).

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الظلمات الثلاث عند المفسرين وأهل العلم.

المطلب الثاني: الظلمات الثلاث في علم الأجنة.

الفصل الثاني

نوع الجنين، وضعه في بطن أمه، مرحلة الولادة

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: نوع الجنين. ولد أم بنت.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: من المسئول من الزوجين عن تحديد نوع الجنين.

المطلب الثاني: هل يمكن معرفة نوع الجنين قبل ولادته ؟

المطلب الثالث: شبهة الإطلاع على الغيب، والرد عليها.

المبحث الثاني: وضع الجنين في بطن أمه، وبكاؤه وهو في الرحم.

المبحث الثالث: مولود الشهر الثامن.

المبحث الرابع: قوله تعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا، فكلي واشربي وقرى عيناً " (فوائد الرطب للحامل بين الشرع والطب).

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: قوله تعالى: "... تساقط عليك رطباً جنياً " (الرطب في الكتاب والسنة).

المطلب الثاني: ما أثبته الطب الحديث عن فوائد الرطب للحامل.

المطلب الثالث: قوله تعالى: "... فكلي واشربي وقرى عينا" ودلالة الآية على الحالة النفسية للحامل كما أثبتتها معطيات العلم الحديث.

المبحث الخامس: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ (الولادة).

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: المخاض.

المطلب الثاني: مراحل الولادة.
المطلب الثالث: بكاء الطفل ساعة ولادته.
المطلب الرابع: الأطفال وهم حمل في الرحم أقوى منهم بعد ولادتهم

الفصل الثالث
النفاس

وفيه ثلاثة مباحث :
المبحث الأول: تعريف النفاس في اللغة وعند الفقهاء.
المبحث الثاني: النفاس عند الأطباء.
المبحث الثالث: مقارنة بين كلام الفقهاء، وكلام الأطباء في النفاس.

الفصل الرابع
رضاعة الوليد

وفيه خمسة مباحث :
المبحث الأول: الرضاع في اللغة وعند الفقهاء.
المبحث الثاني: الإسلام وحق الطفل في الإرضاع.
المبحث الثالث: اعتراف الأطباء بأفضلية الإرضاع الطبيعي على الإرضاع الصناعي، لكل من الطفل والأم.
المبحث الرابع: الطريقة الصحيحة للإرضاع من الثدي.
المبحث الخامس: بنوك لبن الأمهات، أو الحليب البشري. وموقف الشريعة الإسلامية منها.

الفصل الخامس
الحمل بين الفقهاء والأطباء

وفيه مبحثان :
المبحث الأول: الحمل عند الفقهاء.
وفيه مطلبان :
المطلب الأول: تعريف الحمل في اللغة وعند الفقهاء.
المطلب الثاني: قوله تعالى: " فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم، فقدرنا فنعم القادرون ". (مدة الحمل عند الفقهاء)

المبحث الثاني: الحمل عند الأطباء :

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الحمل عند الأطباء.

المطلب الثاني: مدة الحمل عند الأطباء.

المطلب الثالث: الحمل الكاذب.

المطلب الرابع: علامات الحمل، أعراضه، كيفية تشخيصه، متاعبه

المطلب الخامس: حمل المرأة بعد إخصائها.

المطلب السادس: حمل المرأة بعد تعقيمها.

المطلب السابع: حمل بدون الرحم (الحمل المنتبذ).

المطلب الثامن: التشوهات والعيوب الخلقية للجنين.

المطلب التاسع: قوله ﷺ: " إن الله لم يجعل لمسخ نسلا "

الفصل السادس
التوائم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التوائم في اللغة وعند الفقهاء.

المبحث الثاني: التوائم عند الأطباء.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: التوائم المتشابهة.

المطلب الثاني: التوائم غير المتشابهة.

المطلب الثالث: التوائم المتعددة.

الفصل السابع
الإجهاض

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: تعريف الإجهاض لغة وشرعاً وطباً.

المبحث الثاني: أنواع الإجهاض.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الإجهاض الضروري.

المطلب الثاني: الإجهاض الاختياري.

المطلب الثالث: الإجهاض العفوي.

الفصل الثامن
من غرائب الحمل والولادة

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: جنين بدون أب.

المبحث الثاني: حمل من غير جماع.

المبحث الثالث: حمل فوق حمل.

المبحث الرابع: الحمل من واطئين.

المبحث الخامس: حمل الرجال.

المبحث السادس: حمل الحيوانات للأجنة الإنسانية.

الفصل التاسع
التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب

الخاتمة : – نسأل الله حسنها – في أهم نتائج البحث.

وبعد : فإننا ندعو الله أن يزودنا بالتقوى فهي خير زاد، وأن يمنحنا التوفيق والسداد، والصلاح والرشاد، في الحياة الدنيا وفي دار المعاد، إنه كريم جواد.

كما نسأله أن يجعلنا ممن قال فأفاد، وعمل فأجاد. من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فماله من هاد.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه الكرام الأمجاد.

الباحث

الفصل التمهيدي
الحيض الحمل
بين الفقهاء والأطباء واستحباب طلب الولد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **الحيض والحمل عند الفقهاء**.

المبحث الثاني: **الحيض والحمل عند الأطباء**.

المبحث الثالث: **استحباب طلب الولد**.

المبحث الأول
الحيض والحمل عند الفقهاء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: **أنواع الدماء التي تخرج من الرحم وتعريف كل نوع**

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول: **الحيض**.

الفرع الثاني: **الاستحاضة**.

الفرع الثالث: **النفاس**.

المطلب الثاني: **الدم الذي تراه الحامل**

المطلب الأول

أنواع الدماء التي تخرج من الرحم وتعريف كل نوع

حكى ابن رشد(١) اتفاق(٢) العلماء على أن الدماء التي تخرج من الرحم(٣) ثلاثة هي :

الأول: دم الحيض : وهو الخارج على جهة الصحة.

الثاني: دم الاستحاضة : وهو الخارج على جهة المرض.

الثالث: دم النفاس : وهو الذي يخرج مع الولد أو بعده.

وقد ذكر الشلبي(٤) في حاشيته(٥) أن بعض المتأخرين جعلها أربعة : الثلاثة السابقة، والرابع هو الدم الضائع. قالوا : والدم الضائع هو ما تراه الأنثى قبل وقت البلوغ.

---

(١) ابن رشد : هو : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد. بن أبي الوليد بن رشد الشهير بالحفيد الغرناطي – يلقب بقاضي الجماعة. كنيته أبو الوليد. أديب أصولي.
ولد بقرطبة سنة ٥٢٠هـ. كان يفزع إليه في الطب، كما يفزع إليه في الفتوى. تولى القضاء بقرطبة. له كثير من المؤلفات في مختلف الفنون منها : بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وتهافت التهافت في الرد على الغزالي وغيرها كثير. توفي بمراكش سنة ٥٩٥هـ. ونقلت جثته إلى قرطبة حيث دفن بها. الفتح المبين في طبقات الأصوليين. للشيخ عبدالله مصطفى المراغي ص٣٨.

(٢) بداية المجتهد ٥٠/٤٩/١. وقوانين الأحكام الشرعية ص٤٦. وزروق على الرسالة ٨٣/١.

(٣) الرحم: سيأتي – بمشيئة الله – الكلام عنه تفصيلاً في حينه من البحث. وذلك في المطلب الخامس، من المبحث الثاني، من هذا الفصل.

(٤) الشلبي: أحمد بن يونس بن محمد، أبو العباس، شهاب الدين، قال الزركلي : المعروف بابن الشلبي. فقيه مصري حنفي، له حاشية على شرح الكنز للزيلعي، والفتاوى، وحاشية على شرح الأجرومية توفي بالقاهرة سنة ٩٤٧هـ.
شذرات الذهب ٢٦٧/٨. الأعلام ٢٧٦/١.

(٥) بهامش تبيين الحقائق للزيلعي ٥٥/٥٤/١. وانظر : فلا مسكين ص١٨/١٧ والقدوري ص٦.

وإنما سموه ضائعاً لمعنيين : أحدهما : أنه لا يترتب عليه أحكام الاستحاضة من الوضوء والصلاة والصوم وغيرها. وثانيهما : أن دم الاستحاضة يفسد دم الحيض بالثبوت، وهذا الدم لا يفسده. أي من حيث حساب واعتبار عادتها بعد البلوغ.

الفرع الأول : دم الحيض :

إن الكلام عن الحيض في هذا الفصل التمهيدي، إنما هو مقصور على مجال بحثنا فقط وهو الجنين من حيث تكوينه، وتخلقه لا غير. ولهذا كان تقديمه – الحيض – على ما بعده ضروري. بحكم أن توقفه، قد يكون دليلاً أو أمارة على الحمل [1]– إذا كان لغير سن اليأس، ولغير مرض وعلة.

وتكوين الجنين الذي نتناول – بمشيئة الله – مراحل وأطوار تخلقه، منذ أن كان سلالة من طين، ونقله من أصلاب الآباء، إلى أرحام الأمهات، وتكوينه فيها ونموه، حتى خروجه إلى الدنيا بشراً سوياً. هذا هو مجال بحثنا.

وليس الغرض من الكلام عن الحيض هنا، بيان الأحكام الشرعية الخاصة به، التي تتعلق بالعبادات كالصلاة والصوم وقراءة القرآن، ومس المصحف، والطواف بالبيت الحرام، والمكث في المسجد، والمعاشرة الزوجية ونحو ذلك. فهذا كله ليس من مجال بحثنا. فنقول وبالله التوفيق.

تعريف الحيض في اللغة :

حاضت المرأة تحيض حَيْضاً ومحيضا، ومَحَاضاً. فهى حائض. أي سال حيضها.

قال الجوهري : حاضت فهي حائضة، من نساء حوائض وحُيَّض.

وقال ابن خالوية: يقال: حاضت ونفست، ودرست وطمثت، وضحكت وكادت، وأكبرت وصامت. وزاد غيره. تَحَيَّضتْ وعكرت. أي سال دمها. وللحيض أسماء فوق الخمسة عشر.

(١) الحمل : سيأتي – بمشيئة الله – تعريفه في حينه من البحث. وذلك في المطلب الأول من المبحث الأول في الفصل الخامس. (الحمل بين الفقهاء والأطباء).

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[1]. قال الزجاج : (المحيض) في هذه الآية المأتي من المرأة، لأنه موضع الحيض. فكأنه سبحانه قال: اعتزلوا النساء في موضع الحيض، ولا تجامعوهن في ذلك المكان. فهو اسم مصدر.

وقيل : ومنه الحوض. لأن الماء يحيض. أي يسيل إليه. والعرب تدخل الواو على الياء، والياء على الواو، لأنهما من حيز واحد وهو الهواء. وهما : – الواو والياء – حرفا لين.

والحِيْضَة – بفتح الحاء وسكون الياء – المرة الواحدة. أي من دفع الحيض ونوبه.

والحِيْضَة – بكسر الحاء وسكون الياء – الاسم. والجمع : الحِيَض – بكسر الحاء وفتح الياء – كما في الصحاح. والحِيْضَة – بكسر الحاء – أيضاً الخُرْقَةُ التي تستثفر بها المرأة.

قالت عائشة[2] – رضي الله عنها – ليتني كنت حِيْضَةً ملقاة [3] .

تعريف الحيض في الاصطلاح :

عند الحنفية :

عرفه الحنفية فقالوا : " هو دم ينفضه رحم امرأة سليمة من الداء والصغر"[4].

---

(١)من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

(٢)عائشة : غنية عن التعريف بها. فهي الصديقة بنت الصديق. زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ في العام الثاني للهجرة. ماتت – رضي الله عنها – في العام الثامن والخمسين من الهجرة بالمدينة المنورة. ودفنت بالبقيع.

(٣)تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٢٥/٢٤/٥. والصحاح للجوهري ١٠٧٣/٣. والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٣٢٩/٢. والمعجم الوسيط ٢١١/١، ٢١٢.

(٤)فتح القدير للكمال بن الهمام ١٦٠/١.

وانظر : البدائع للكاساني ١٦٧/١. والفتاوى الهندية المسماة بالفتاوى العالمكيرية للنظام ٣٦/١.

عند المالكية :

عرفه المالكية فقالوا : الحيض شرعاً: " دم كصُنْفرَةٍ أو كُدْرَةٍ خرج بنفسه من قُبُل من تحمل عادة وإن دُفْعَة " [١][٢].

عند الشافعية :

عرف الشافعية الحيض بأنه : " دم جِبِلَّةٍ[٣] يخرج من أقصى رحم المرأة بعد بلوغها على سبيل الصحة في أوقات مخصوصة " [٤].

عند الحنابلة :

عرف الحنابلة الحيض فقالوا : " الحيض شرعاً دم طبيعة يخرج مع الصحة، من غير سبب ولادة، من قعر الرحم يعتاد أنثى، إذا بلغت في أوقات معلومة "[٥].

النظر في التعريفات السابقة للحيض :

بالنظر في تعريفات الحيض في المذاهب الأربعة نجد أن الفقهاء قد بينوا أموراً معينة تتفق من حيث المعنى، مع اختلاف عباراتهم.

---

(١)شرح الزرقاني على مختصر خليل لعبد الباقي الزرقاني ١/ ١٣٢، وشرح منح الجليل لعليش ٩٩/٩٨/١ وقوانين الأحكام الشرعية لابن جزى ص٤٥. وزروق على الرسالة ٨٣/١.

(٢)قوله : " دُفْعَة " – بضم الدال – وهي الدفقة. أي خارجاً في زمن يسير. وأما بفتح الدال (دُفْعَة) فهي المرة. الزرقانى على خليل وحاشيه البناني بهامشة ١٣٣/١٣٢/١، والخرشي ٢٠٣/١.

(٣)الجِبِلَّة : الخِلْقَة – المعجم الوسيط ١٠٦/١.

(٤)نهاية المحتاج للرملي ٣٢٣/١، حاشية البرماوي على شرح الغاية لابن قاسم الغزي ص٥٠.

(٥)كشاف القناع للبهوتي ١٩٦/١. وانظر : الكافي لابن قدامة في فقه الإمام أحمد بن حنبل ٧٢/١.

١- أن الحيض دم جبلة وطبيعة، يخرج من امرأة سليمة، على سبيل الصحة، لا لمرض وعلة.

٢- أنه يكون دليلاً على البلوغ، وقبول المرأة للحمل عادة، فلا يخرج من صغيرة لم تبلغ.

٣- أنه يخرج من الرحم، أو من أقصى الرحم.

٤- أنه يخرج بنفسه من غير سبب ولادة.

٥- أنه يخرج في أوقات معلومة أو مخصوصة.

الفرع الثاني : دم الاستحاضة :

تعريفه في اللغة :

جاء في الصحاح : استُحِيْضَتِ – بضم التاء – المرأة : أي استمر بها نزول الدم بعد أيام حيضتها المعتادة، فهي مستحاضة. هكذا بالمبني على المفعول.

المستحاضة من يسيل دمها ولا يرقأ في غير أيام معلومة [١].

الاستحاضة عند الفقهاء :

اتفق فقهاء المذاهب الأربعة[٢] على أن دم الاستحاضة هو الخارج من المرأة على جهة المرض، وأنه غير دم الحيض، فهو خارج على سبيل الصحة. لقوله ﷺ: "... إنما ذلك عِرْقٌ وليس بحيض "[٣].

---

(١) الصحاح للجوهري ١٠٧٣/٣، والمغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٢٣٦/١ والمعجم الوسيط ٢١٢/١.

(٢) فتح القدير ١٦٠/١، تبيين الحقائق ٥٥/٥٤/١، البدائع ١٦٧/١.
ونهاية المجتهد ٥٠/٤٩/١، قوانين الأحكام الشرعية ص٤٦، زروق ٨٣/١.
ونهاية المحتاج ٣٢٣/١ وحاشية البرماوي على شرح الغاية ص٥٠
وكشاف القناع ٢٠٢/١ – ٢٠٧، والكافي لابن قدامة ٨٣/١.

(٣) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري. كتاب الوضوء، باب غسل الدم حديث ٢٢٨. وفي كتاب الحيض باب الاستحاضة حديث ٣٠٦. ومسلم. كتاب الحيض. باب المستحاضة وغسلها وصلاتها حديث ٣٣٣.

والعِرْقُ الذي ينزل منه دم الاستحاضة شريان فمه في أدنى الرحم يسمى العاذل، بخلاف دم الحيض فيخرج من قعر الرحم.

وينزل دم الاستحاضة على المرأة في غير أيام عادتها، أو يبدأ الحيض المعتاد، ثم يستمر نزول الدم على المرأة بعد أيام حيضها المعتاد، فهو في كُلَّ يكون لمرض وعلة، ويسمى دم علة وفساد.

الفرق بين دم الحيض والاستحاضة عند الفقهاء :

دم الحيض أسود، غليظ، له رائحة كريهة، بخلاف دم الاستحاضة فهو أحمر، مشرق، رقيق، لا رائحة له.

لقوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش [1] : " إذا كان دم الحيض فإنه دم أسود يُعْرَف[2] "

هذا : وحكم المستحاضة هو حكم الطاهرة الخالية من حيض ونفاس، في وجوب العبادات وفعلها، لأنها نجاسة غير معتادة، أشبهت سلس البول.

(١) فاطمة بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى. القرشية الأسدية. تزوجها عبدالله بن جحش. وهي المرأة التي سألت النبي ﷺ عن الاستحاضة، وثبت ذكرها في الصحيحين.
الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤٥/٨، الاستيعاب لابن عبدالبر ١٨٩٢/٤، أسد الغابة لابن الأثير ٢١٨/٧، الإصابة لابن حجر ١٦١/٨.

(٢) أخرجه أبو داود. كتاب الطهارة. باب من قال : إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة. حديث ٢٨٦، والنسائي في المجتبي من السنن كتاب الحيض والاستحاضة. باب الفرق بين دم الحيض والاستحاضة ٦ والدار قطنى في السنن. كتاب الحيض حديث ٥، ٦. والحاكم في المستدرك. كتاب الطهارة. باب أحكام المستحاضة. وقال : (صحيح على شرط مسلم) وأقره الذهبي.

والمستحاضة تصلى وتصوم، وتقرأ القرآن، وتطوف بالبيت الحرام، ويأتيها زوجها [1].

الفرع الثالث : **دم النفاس** :

دم النفاس هو الدم الذي يخرج بسبب الولادة. معها أو بعدها. وسيأتي – بمشيئة الله – الحديث عنه بفضل بيان في حينه من البحث، وذلك في الفصل الثالث، حيث عقد له فصل خاص.

(١)كشاف القناع ٢٠٢/١ – ٢٠٧، والكافي لابن قدامة ٨٣/١. وانظر : القواعد لابن رجب ص ٢٣٧، ٢٣٨.

المطلب الثاني
الدم الذي تراه الحامل

اختلف جمهور الفقهاء في الدم الذي ينزل على المرأة الحامل. هل هو دم حيض أم غير ذلك ؟ وانقسموا إلى مذهبين :

المذهب الأول: للحنفية[١] والحنابلة[٢]. وهو أن الدم الذي تراه الحامل هو دم استحاضة، وليس دم حيض. لأن الحامل عندهم لا تحيض.

المذهب الثاني: للمالكية[٣] والشافعية[٤] – على الأظهر عندهم – وهو أن الدم الذي تراه الحامل حيض. لأن الحامل عندهم تحيض.

الرأي الراجح :

لا نستطيع ترجيح أحد المذهبين على الآخر. لعدم استدلال كل. ولأن الوقوف على هذا الأمر لدى الفقهاء عسير، لعدم تخصصهم في ذلك. فالتجربة فيه غير مطردة.

ويؤيد رأينا هذا ما قاله ابن رشد : وسبب اختلاف الفقهاء في حيض الحامل، هو عسر الوقوف على ذلك بالتجربة، واختلاط الأمرين، فإنه مرة يكون الدم الذي تراه الحامل حيضاً، وذلك إذا كانت قوة المرأة وافرة، والجنين صغيراً، وبذلك أمكن أن يكون حمل على حمل[٥]، على ما حكاه بقراط وجالينوس وسائر الأطباء.

---

(١) الفتاوى الهندية المسماة بالفتاوي العالمكيرية ٣٨/١.

(٢) المعنى ١ / ٣١٣.

(٣) شرح منح الجليل ١٠١/١، المنتقى للباجي شرح الموطأ ٨٠/٤، وبداية المجتهد ٥٣/١. وقوانين الأحكام الشرعية ص٤٥.

(٤) نهاية المحتاج ٣٥٥/١.

(٥) سنتعرض لهذا – بمشيئة الله – بفضل بيان في حينه من البحث. وذلك في المبحث الثالث، من الفصل الثامن.

ومرة يكون الدم الذي تراه الحامل لضعف الجنين ومرضه التابع لضعفها ومرضها في الأكثر. فيكون دم علة ومرض. وهو في الأكثر مرض وعلة[1].

أقول : وما دام الأمر كذلك فلابد من الرجوع فيه لأهل الذكر. وأهل الذكر في هذا الميدان هم الأطباء المختصون.

وبعد التقدم العلمي الكبير في العصر الحديث. أصبحنا اليوم – بفضل الله– نعلم يقينا أن الدم الذي ينزل على الحامل أثناء حملها ليس بدم حيض. وإنما هو دم استحاضة، فالحيض هدم لما يبنى في داخل الرحم لاستقبال البييضة الملقحة، فإذا لم تأت هذه البييضة، أو لم تعلق بالرحم. فإن البناء كله يهدم، وعلى ذلك فلا يمكن أن يجتمع الحيض والحمل ؛ لأنهما نقيضان. فإذا وجد الحيض فلا حمل، وإذا وجد الحمل فلا حيض [2]. والله أعلم.

(١)بداية المجتهد ٥٣/١.

(٢)مجلة كلية الشريعة بالكويت ص١٤٦ د / عمر سليمان الأشقر – العدد الحادي عشر عزواً إلى دكتورة، نبيهة الجيار.

المبحث الثاني
الحيض والحمل عند الأطباء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الحيض طبياً، أوصافه، كيفية حساب دورة الحيض طبياً.

المطلب الثاني : تطابق وصف النبي ﷺ لدم الحيض مع معطيات الطب الحديث.

المطلب الثالث : سبب الحيض طبياً.

المطلب الرابع : دم الاستحاضة، والفرق بينه وبين دم الحيض عند الأطباء.

المطلب الأول
تعريف الحيض طبياً، أوصافه، كيفية حساب دورة الحيض طبياً

تعريف الحيض طبياً:

الحيض عند الأطباء هو : (نزول الدم الشهري المنتظم الذي يحدث عند البالغات غير الحوامل من سن ١٣ إلى ٤٥ سنة تقريباً[١].

أوصاف دم الحيض طبياً :

هو دم أسود غير متجلط (غير متجمد) ويسمى (بالدور الشهري) أو(العادة) أما الدم الأحمر المشرق، فإنه دم غير طبيعي.

دم الحيض لا يتجلط. أي لا يتجمد، ويمكن إبقاؤه سنين طويلة على تلك الحالة دون تجلط. فإذا ظهر دم متجلط أثناء الحيض، فإن الحائض سرعان ما تعرف ذلك، ويعتبر ذلك غير طبيعي وعند فحص دم الحيض بالمجهر فإننا نرى كرات الدم الحمراء والبيضاء، وقطعاً من الغشاء المخاطي المبطن للرحم.

والسبب في عدم تجلط دم الحيض، هو أنه قد سبق له أن تجلط، ثم أذيبت الجلطة بفعل خميرة، تدعى مذيب الليفين، وترى خيوط الليفين واضحة تحت المجهر.

والليفين هو الاسم العلمي للألياف التي تتكون عند تجلط الدم، وترى واضحة تحت المجهر، وتتخللها كرات الدم الحمراء والبيضاء[٢].

---

(١) العناية بالحامل، ترجمة د/ على إبراهيم ص١٢٦. تحت عنوان: (تفسير المصطلحات) وانظر هموم البنات د/ أيمن الحسيني ص٣٣.

وعرفه داود الأنطاكي في تذكرته فقال : (الحيض في النساء سيل الفرج بما يقذفه الرحم من الدم الزائد فيهن، من فضلات الغذاء للبرد، وضعف الهضم، وصغر العروق، ويتوقع بعد ثلاث عشرة. تذكرة داود الأنطاكي. المسماة تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ١٤٠/٢.

(٢) العناية بالحامل من ١٢٦، خلق الإنسان بين الطب والقرآن د/ محمد على البار ص٨٩/٩٠، تنظيم الحمل بالوسائل العلمية الحديثة د/ سبيرو فاخوري ص٥٤. =

كيفية حساب دورة الحيض طبياً :

تحسب دورة الحيض عند المرأة طبياً من بداية الحيض، إلى بداية الحيضة التي تليها. ومدتها في أغلب النساء ٢٨ يوماً. وقد تزيد أو تنقص يوماً أو يومين. أو بمعنى آخر. تبدأ الدورة الشهرية في اليوم الأول لنزول الدم، وليس بعد انتهاء نزول الدم كما يعتقد البعض.

وتنتهي الدورة الشهرية في الليلة التي تسبق نزول الدم في المرة التالية[١].

= وانظر : تطور الجنين وصحة الحامل – كتاب الطب والأسرة د/ محي الدين طالو العلبي ص٤٩. وانظر : تذكرة داود الأنطاكي ١٤٠/٢.

(١) العقم د / محمود طلعت ص٤٨.

المطلب الثاني
تطابق وصف النبي ﷺ لدم الحيض مع معطيات الطب الحديث

يقول النبي ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش – رضي الله عنها– وقد كانت تستحاض، فيعرفها النبي ﷺ حقيقة دم الحيض، والفرق بينه وبين غيره فيقول ﷺ: " إذا كان دم الحيض فإنه دم أسود يُعْرَف " أي له عَرْف ورائحة خاصة به تعرفه النساء.

" فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي فإنما هو عرق "[(١)].

وفي رواية ثانية أنه ﷺ قال : " فإنما ذلك ركضة من الشيطان، أو عِرْق انقطع، أو داء عرض لها "[(٢)].

وفي رواية ثالثة : " إنما ذلك عِرْقٌ وليس بحيض "[(٣)].

ويقول ﷺ في حديث آخر عن المستحاضة : " تدع الصلاة أيام أقرائها التي كانت تحيض فيها " [(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند. الفتح الرباني للبنا الشهير بالساعاتي ١٧٠/١٦٩/٢.

ومعنى (رَكْضَة) قال في النهاية : أصل الركض الضرب بالرجل، والإصابة بها، كما تركض الدابة، وتصاب بالرجل. أراد الإضرار بها والأذي.

والمعنى أن الشيطان قد وجد بذلك طريقاً إلى التلبيس عليها في أمر دينها وطهرها وصلاتها، حتى أنساها ذلك عادتها، وصار في التقدير كأنه ركضها بآلة من ركضاته.

المرجع السابق. الفتح الرباني ١٧٠/١٦٩/١.

وانظر : المغرب في ترتيب المعرب ٣٤٤/١، ٣٤٥.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود. كتاب الطهارة. باب في المرأة تستحاض، ومن قال تدع الصلاة في عدة الأيام التي كانت تحيض حديث ٢٧٤.

والترمذي. واللفظ له. كتاب الطهارة، باب ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة حديث ١٢٦.

=

هذا ما قاله الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وهو أمي، لم يدرس في جامعة، ولم يتعلم طباً، وإنما هو أكثر من ذلك، وفوق ذلك كله بكثير، فقد علمه شديد القوى.

إن ما قاله النبي ﷺ تؤكده وتقربه معطيات العلم الحديث، إذ أننا نجد الدكتور (دوجالد بيرد) يقول (أما لون دم الحيض فهو أسود... أما الدم الأحمر المشرق فإنه غير طبيعي) [(١)].

وإذا كان غير طبيعي فهو إذن ليس بحيض، كما قال ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش : " دم الحيض فإنه أسود يُعْرَف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئ وصلي "[(٢)].

ويقول الدكتور (دوجالد بيرد) : (وما هو طبيعي بالنسبة لامرأة يعتبر غير طبيعي بالنسبة لامرأة أخرى... فكل امرأة وما اعتادته).

= قال أبو عيسي : هذا حديث قد تفرد به شَريك عن أبي اليقظان.
وابن ماجه. كتاب الطهارة. باب ما جاء في المستحاضة التي قد عدت أيام أقرائها قبل أن يستمر بها الدم. حديث ٦٢٥.

(١) خلق الإنسان ص٩٠.
وانظر : العقم عند الرجال والنساء د/ سبيرو فاخوري ص١٩٧.
وكلمة " غير طبيعي " التي ذكرها الطب الحديث عن دم الاستحاضة، قد ذكرها الطب القديم كذلك منذ قرابة الألف عام. فقد قال ابن سينا في قانونه تحت عنوان (فصل في أحكام الطمث) (الطمث المعتدل في قدره، وفي كيفيته، وفي زمانه الجاري على عادته الطبيعية في كل مرة، هو سبب لصحة المرأة ونقاء بدنها من كل ضار... وأما فوق ذلك وما دونه الذي يقع في الخامس عشر، والسادس عشر، والتاسع عشر، فغير طبيعي. القانون ٢/٥٨٥.
وانظر : تذكرة داود الأنطاكي ٢/١٤١.

(٢) سبق تخريجه.

هذا قد قاله النبي ﷺ بعبارة : "... تدع الصلاة أيام أقرائها (أي حيضها) هكذا بلفظ الإفراد " أقرائها " أي أن لكل امرأة أقراؤها الخاصة بها. أي حيضها الذي اعتادته هي دون غيرها.

يؤكد قوله ﷺ في نفس العبارة التي وردت في الحديث هكذا نصاً : "... تدع الصلاة أيام أقرائها التي كانت تحيض فيها " أي تحيض هي فيها دون غيرها.

ويقول في موضع آخر : – د/ دوجالد بيرد – (وما بين البلوغ وسن اليأس تكون العادة في أغلب النسا منتظمة... وهن يعرفن موعد حيضهن، ومدته ومقداره... فإذا اختلف ذلك عرفته بسرعة... وتستطيع معرفة ذلك أغلب النساء دون صعوبة).

وهذا أيضاً قد سبق إليه النبي ﷺ بعبارة : " دم الحيض أسود يُعْرَف... فإذا كان الآخر " ومعنى هذا أن النبي ﷺ يعلم أن المرأة تعرف بسهولة ويسر دم الحيض من غيره، وإلا ما قال ﷺ: "... فإذا كان الآخر " بل كان ﷺ يبينه بوصف معين، لأنه دائماً في مقام التشريع من ربه، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة(١).

وبتأكيد علمي حديث آخر يذكر الأستاذ الدكتور / محمد على البار، وهو طبيب مسلم فيقول: (ولم أجد فيما لَدَيَّ من كتب أمراض النساء شيئاً يذكر عن هذه الرائحة الخاصة، فسألت بعض النسوة اللاتي يترددن على عيادتي : هل تجدن رائحة خاصة لدم الحيض ؟

فأجبن : أن نعم. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما قال إلا حقا وصدقا، في هزل وجد، وفي كل صغير وكبير، وفي كل خطير وحقير)(٢).

---

(١) لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. هذا بالاتفاق عند القائلين بامتناع التكليف بما لا يطاق. انظر: أصول الفقه. فضيلة الشيخ محمد أبو النور زهير ٣/٢٤.

(٢) خلق الإنسان ٩٠/٩١.

وانظر : العقم عند الرجال والنساء ١٩٧.

وانظر : تنظيم الحمل بالوسائل العلمية الحديثة ٥٤.

المطلب الثالث
سبب الحيض طبياً

إن رحم[١] المرأة ومبيضها[٢] وأثداءها، بل وجهازها التناسلي[٣] بأكمله يمر بدورة شهرية كاملة، حسب تغير الهرمونات[٤] في جسمها، بزيادة هرمون ونقص آخر.

---

(١) الرحم عضو كمثري الشكل طوله حوالي ثلاث بوصات، وعرضه بوصتان، وسمكه بوصة واحدة. وذلك قبل الحمل، ويقع فوق المهبل مباشرة. ويتضاعف هذا الحجم أكثر من ثلاثة آلاف مرة في نهاية الحمل.
العناية بالحامل ص١٦. وخلق الإنسان ص٧٩.

(٢) المبيض : بحجم وشكل اللوزة قبل تقشيرها. وهما مبيضان للمرأة، مكانهما على جانبي الرحم، وهما اللذان تخرج منهما الخلايا التناسلية للأنثي (البييضه) والمبيض طوله نحو ثلاثة سنتمترات، وعرضه نصف طوله، وسمكه نصف عرضه.
خلق الإنسان ص٣٦.
وسنزيده بمشيئة الله إيضاحاً وتفصيلاً في حينه من البحث.

(٣) جهاز المرأة التناسلي يتكون من أعضاء تناسلية ظاهرة، وأعضاء تناسلية باطنة
فالأعضاء الظاهرة هي : فتحة الفرج، وعلى حافتيه الشفران الصغيران، والشفران الكبيران، وتقع فتحة الفرج في الدهليز. ويقع أمام فتحة الفرج (أي من أعلى) صماخ قناة مجرى البول، وعند التقاء الشفرين الصغيرين من أمام يقع البظر.
أما التقاء الشفرين الكبيرين من أمام فيكوَّن جبل الزهرة.
وأما الأعضاء التناسلية الباطنة فهي : المبيضان، الرحم، قناتا الرحم، المهبل، النفيران.
خلق الإنسان ص٣٥. العقم عند الرجال والنساء ص١٨٨.

(٤) الهرمون: كلمة هرمون تعنى رسولاً. وهذه الهرمونات ليست إلا رسلا كيماوية، تنتقل عبر الدم من غدة إلى أخرى، أو من غدة إلى بقية الجسم. وتؤثر فيه تأثيراً شديداً.
هذه الرسل الكيماوية، لا توزن بالكيلو جرام، ولا حتى بالجرام، كما يوزن الذهب والفضة وبقية الأحجار الكريمة. ولكنها توزن بالنانا جرام (واحد على بليون من الجرام) والميكروجرام (واحد على مليون من الجرام) نعم إنها كمية ضئيلة جداً جداً جداً، = =ولكنها

وسنكتفي هنا بالتركيز على دورة الرحم حتى نعرف كيف يأتي الحيض، وما هو سببه. إن للرحم غشاء يبطنه من الداخل. وتبدأ الدورة بعد انتهاء الطمث مباشرة، فنجد الغشاء المبطن للرحم بسيطاً، ولا تزيد ثخانته (سمكه) عن نصف ميليمتر، فإذا ابتدأت الدورة فإن الرحم يمر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: مرحلة النمو. وخلال هذه الفترة ينمو الغشاء المبطن للرحم من أقل من ميليمتر إلى ما يربو إلى خمسة ميليمترات.

المرحلة الثانية: مرحلة الإفراز. في هذه المرحلة يزداد نمو الرحم من خمسة ميليمترات إلى ثمانية ميليمترات.

وهذا قد قاله الطبيب القديم ابن سينا، فقد قال في قانونه : (والرحم تغلظ وتثخن كأنها تسمن، وذلك وقت الطمث) (١).

والغريب حقا أن الإمام الفقيه المحدث ابن القيم(٢)، قد تحدث عن داخل الرحم قبل سبعة قرون. تحدث وهو غير متخصص، لكنه كأستاذ في التشريح.

رغم ضآلتها، وحقارة وزنها، فإنها خطيرة جداً. فإن أقل خلل في أي منها قد يسبب الموت، أو التشوة الخلقي، والعقلي، أو القصور الجسمي والجنسي والنفسي.

وملكة هذه الغدد هي الغدة النخامية

خلق الإنسان ص٤٩. وانظر : الطب محراب الإيمان د/ خالص جلبي هامش ص٦٤.

وانظر : سعادة الطفل صحة الأم د/ سعيد الدجاني ص٣٧، ٣٨.

(١) القانون في الطب ٥٥٧/٢.

(٢) ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الملقب بشمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية الفقيه الحنبلي، الأصول المحدث النحوي الأديب.

ولد سنة ٦٩١ بدمشق ونشأ بها. لازم ابن تيمية أكثر من غيره وتأثر به. وانتصر له. له تلاميذ لا يحصون عدداً. ومصنفاته كثيرة منها : إعلام الموقعين عن رب العالمين، وحادي الأرواح إلى دار الأفراح، وإغاثه اللهفان في مصايد الشيطان، وزاد المعاد في هدى خير العباد.

وغيرها كثير. توفي بدمشق سنة ٧٥١هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير. =

استمع إليه وهو يقول :

(اقتضت حكمة الخلاق العليم سبحانه، أن جعل داخل الرحم خشنا كالإسفنج، وجعل فيه طلباً للمنى، وقبولاً له كطلب الأرض الشديدة العطش للماء، وقبولها له، فجعله طالباً حافظاً، مشتاقاً إليه بالعطش) (١).

يتطابق الوصفان.. وصف ابن القيم الفقيه المحدث قبل سبعة قرون، ووصف الطب الحديث في القرن العشرين. ويزيد وصف ابن القيم على الطب الحديث بهذه العبارة الأخاذة: (وجعل فيه طلباً للمنى، وقبولاً له، كطلب الأرض الشديدة العطش للماء، فجعله طالباً حافظاً مشتاقاً إليه).

لكأنما يتحدث عما يحس به الرحم ويكابده من شوق في هذه المرحلة لأداء وظيفته المنوطة به، ورغم أن الوصف أدبي وإبداعي، إلا أنه يمثل الحقيقة العلمية أصدق تمثيل بألطف عبارة وأجمل وصف (٢).

وما ذكره الطب الحديث في القرن العشرين، وذكره ابن القيم من سبعة قرون، قد ذكره الطب القديم كذلك منذ عشرة قرون.

فقد ذكر ابن سينا في قانونه قوله : (وإذا جومعت المرأة تدافعت الرحم إلى فم الفرج كأنها تبرز شوقاً إلى جذب المني بالطبع) (٣).

إن سبب هذه المرحلة الهامة هو إفراز هرمون (البروجسترون) من حويصلة جراف التي تزيد من إفرازها له بعد إخراج البييضة منها إلى قناة الرحم، استعداداً لتلقيحها بالحيوان المنوى الذي تختاره المشيئة الإلهية من بين ملايين الحيوانات المنوية.

= الفتح المبين في طبقات الأصوليين. عبدالله مصطفي المراغي ص١٦١/١٦٢ طبعة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م مطبعة أنصار السنة المحمدية.

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٢١١.

(٢) خلق الإنسان ص٩٢. وانظر : العقم د / سبيرو فاخوري ص٢٠٠.

(٣) القانون في الطب ٥٥٧/٢.

هذا الهرمون هو هرمون الحمل، الذي يجعل جسم المرأة بأكمله ينقلب نتيجة إفرازه له، ويجعل رحمها، وجهازها التناسلي، بل جسمها بكامله مستعداً للحمل.

فإذا قدر الله ولم يحصل الحمل تُرَى ماذا يكون ؟ هو الآتى في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة : مرحلة الطمث. يحزن الرحم لفقدان فرصته، في أداء وظيفته الخاصة به – تلقيح البييضة لحيوان منوى – لكن كيف يعبر عن حزنه؟ إنه لا يبكي دموعاً، بل دما، هو دم الطمث. دم أسود، محتدم، حار، كأنه محترق. ولكأنه يصف ما به من كمد، فيكون محتدماً حاراً، على عكس دم الاستحاضة. الأحمر، المشرق، الذي لا هم به ولا حزن.

ويحق للرحم أن يحزن، ويحق له أن يبكي دما، ودما أسود محتدما، فقد استعد بالفرش، وأحضر الغذاء، وبني هيكلاً عظيماً، ثم يقال : لا فائدة من هذا البناء، فيقوم بهدم البناء وطرده إلى الخارج، مع الدم الأسود المحترق... وينزل دم الحيض محتويا على قطع من الغشاء المبطن للرحم مفتتة[1] .

(١)خلق الإنسان د / البار ص٩٣ / ٩٤.

المطلب الرابع

دم الاستحاضة والفرق بينه وبين دم الحيض عند الأطباء

يتفق الأطباء مع الفقهاء، في تحديد وصف كل من دم الحيض ودم الاستحاضة، وإثبات الفرق بينهما، حتى إنه لا يكاد يكون هناك أي فرق بين ما ذكره كل منهما.

واتفاقهما على أنهما مختلفان تماماً. ولم يتفقا في شيء أبداً – الحيض والاستحاضة – سوى شيء واحد هو أن كلا منهما اسمه دم.

ولمزيد من الإيضاح نبين الفروق بين دم الحيض ودم الاستحاضة طبياً في الجدول الآتي[1] :

مسلسل	الصفة	دم الحيض	دم الاستحاضة
١	اللون	يدخل في الحيض جميع ألوان الدم، ابتداءً من الأسود المحترق، وهو أشدها، ويتغير إلى الحمرة، ثم الشقرة، ثم الكدرة، ثم الصفرة. وقد يكون مخاطاً.	لا يكون أسود، وإنما في الغالب يكون أحمر مشرقاً
٢	المصدر	قعر الرحم	الفرج، أو أدني الرحم، أوالرحم
٣	الرائحة	له رائحة كريهة	ليس له رائحة
٤	التكوين	كرات الدم الحمراء والبيضاء، وقطع من الغشاء المخاطي المبطن للرحم	كرات الدم الحمراء والبيضاء

(١)بحث في الحيض والحمل والنفاس د/ محمد سليمان الأشقر ص١٤٤. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة الكويت.

٥	الكثافة	كثيف كأنه محترق	ليس كثيفاً
٦	التجلط (التجمد)	لا يتجلط. أي لا يتجمد	يتجلط (يتجمد)
٧	الوقت	له وقت معتاد لدى النساء، حسب الدورة الشهرية لكل امرأة	ليس له وقت معتاد لدى النساء فيأتي في أي وقت، وقد يستمر طوال الشهر.

المبحث الثالث
استحباب طلب الولد

نظر الإسلام إلى طلب الولد عن الطريق الحل المشروع نظرة ملؤها الإجلال والتقدير ن والمهابة والاحترام. فعنى بأمر الإنجاب، لأن عمارة الكون لا تكون إلا بإنجاب النسل والذرية.

ولقد أشاد كل منصف غيور على دينه وعرضه، بفضل الشريعة الإسلامية، وعلو كعبها، وطول باعها في هذا الميدان.

فقد أخبر المولى عز وجل في كتابه الكريم أن طلب الولد من سنة الأنبياء والمرسلين، وأنهم قد تزوجوا وطلبوا الولد. فالولد سر أبيه، وحامل خصائصه، وهو في حياته قرة عينه. وهو بعد مماته امتداد لوجوده.

فهذا سيدنا رسول الله ﷺ قد تزوج وأنجب، وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يقول : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[1].

ومن قبله أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[2].

كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[3].

ويعلم المولى سبحانه وتعالي عباده المؤمنين أن يتوجهوا إليه بالدعاء الخالص في أن يهب لهم طمأنينة الحياة، وأن يكرمهم برؤية الذرية. يقول عز من قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[4].

وقال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[1].

---

(١) من الآية ٣٨ من سورة آل عمران.

(٢) من الآية ٤٠ من سورة إبراهيم.

(٣) من الآية ٣٨ من سورة الرعد.

(٤) من الآية ٧٤ من سورة الفرقان.

كذلك فإن السنة النبوية الشريفة حافلة بما حفل به القرآن الكريم منها : قوله ﷺ: " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثربكم الأمم " [٢].

وغير ذلك كثير وكثير مما لا يتسع المقام لذكره. وحتى لا نخرج عن موضوعنا الذي هو الجنين من حيث مراحل تكوينه.

(١)من الآية ٧٢ من سورة النحل.

(٢)أخرجه أبو داود واللفظ له. حديث رقم ٢٠٥٠.
والنسائي حديث رقم ٣٢٢٩.
وابن ماجه حديث رقم ١٨٦٣.

الفصل الأول
أطوار خلق الإنسان

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول في: قوله تعالي : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (سلاله الطين).

المبحث الثاني في: قوله تعالي: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (النُّطْفَةُ والقرار المكين).

المبحث الثالث في : قوله تعالي: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ ﴾ (العَلَقة).

المبحث الرابع في: قوله تعالي: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ (المُضْغَةُ: الْمخلقة وغيرُ الْمُخَلَّقةُ).

المبحث الخامس في: قوله تعالي: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ (تكوين العظام).

المبحث السادس في: قوله تعالي: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (نفخ الروح).

المبحث السابع في: قوله تعالي: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ (الظلمات الثلاث).

المبحث الأول

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[1] (سلالة الطين)

وجه الدلالة من الآية الكريمة:

نتناول بمشيئة الله هذه الآية الكريمة فنلقي الضوء على ألفاظها بشيء من الإيضاح الذي يخص موضوعنا وبحثنا فنقول وبالله التوفيق:

أ-معنى (الخلق) الوارد في الآية:

الخلق: التقدير والصنع والإبداع، يقال: خلق الله العالم، قَدَّرَه وصنعه وأبدعه.

والخالق: اسم من أسماء الله تعالى، والمُبْدِع الشيء المخترعه على غير مثال سبق.

والخلق: المخلوق والناس، والخِلْقَة: الفِطْرَة، والخليقة: الخَلْق والطبيعة، والجمع الخلائق، ومضغة مخلقة: أي تامة الخَلْق[2].

ومعنى (الخلق الإلهي) نسبة إلى (الإله) الخالق المعبود، وهو الله جل جلاله الذي هو علم على واجب الوجود سبحانه.

(والله) أصله (إله) دخلت عليه (أل) ثم حذفت همزته وأدغم اللامان.

(فالخلق الالهي) إذن: هو الذي يكون من صنع الله الخالق سبحانه، وليس من صنع المخلوق، أو ليس من صنع أحد من البشر[3].

ب-المراد (بالإنسان) في الآية:

اختلف أهل التفسير في المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[4] فقال قتادة[5]، ومقاتل[1] : المراد منه آدم عليه السلام، فآدم سُلَّ من الطين، وخلقت ذريته من ماء مهين.

---

(١) الآية ١٢ من سورة المؤمنون.

(٢) الصحاح للجوهري، ١٤٧٠/٤/١٤٧١ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة. والمعجم الوسط ٢٥٢/١

(٣) والصحاح ٢٢٢٣/٦. والمعجم الوسيط ٢٥/١

(٤) الآية ١٢ من سورة المؤمنون.

(٥) قتادة هو : قتادة بن دعامة بن قتادة، وقيل ابن عكابة، وقيل ابن كريز، السدوسي البصري، وكنيته أبو الخطاب، الضرير الأكمه، كانت ولادته سنة ستين من الهجرة،=

يقول الرازي[٢]: ثم [٣]جلعنا الكناية راجعة إلى الإنسان الذي هو ولد آدم، والإنسان شامل لآدم عليه السلام، ولولده.

وقال آخرون: الإنسان ههنا ولد آدم، والطين ههنا اسم آدم عليه السلام.

والسلالة هي الأجزاء الطينية المبثوثة في أعضائه، التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المني صارت منياً.

= قدوة المخدثين والمفسرين، حافظ العصر، يقول عنه الشعبي : قتادة حاطب ليل، كناية لكثرة ما يحمل من علم، يقول هو عن نفسه: ما سمعت شيئاً إلا وحفظته، وكان صحيح اللسان، لايلحن، توفى رضي الله عنه سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة، وله من العمر سبع وخمسون سنة، الطبقات الكبرى لابن سعد/ ٧/ ٢٢٩.

(١) مقاتل هو: مقاتل بن حيان بن دوال دور، أبو بسطام النبطي البلخي، الإمام العالم المحدث الفقيه، روى عن الشعبي ومجاهد والضحاك وعكرمة وأبن بريدة، وروي عنه خلق كثير، كان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، صاحب سنة، هرب من خراسان أيام أبي مسلم إلى كابل، فأسلم على يديه خلق كثير، توفي– رحمه الله– في حدود سنة ١٥٠ من الهجرة.

التاريخ الكبير ١٣/٨ (١٩٧٢) الجرح والتعديل ٣٥٣/٨ (١٦٢٩، سير أعلام النبلاء ٣٤٠/٦– ٣٤١ (١٤٤) طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٧٦ (١٦١) تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٧– ٢٧٩ (٥٠٠).

(٢) الرازي هو: محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي، الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي الأصولي المفسر الأديب الشاعر الفيلسوف الحكيم الفلكي، ولد بالري سنة ٥٤٤ من الهجرة، وإليها نسبته وأصله من طبرستان، وهو قرشي النسب، مصنفاته كثيرة منها: أساس التقديس في علم الكلام، واللوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات ومفاتيح الغيب، وهو المشهور بالتفسير الكبير وغير ذلك كثير، توفي رضي الله عنه يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ من الهجرة بمدينة هراة، ودفن في الجبل المقابل لقرية مزداخان –بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال، الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله مصطفى المراغي، ٤٧/٢.

(٣) التفسير الكبير بالمعروف بمفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٨٤/٢٣ الطبعة الثالثة– دار التراث العربي وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٤٠/٣ الحلبي.

قال الرازي: [1] وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [2].

وفيه وجه آخر: وهو أن الإنسان إنما يتولد من النطفة، وهي إنما تتولد من فضل الهضم الرابع، وذلك إنما يتولد من الأغذية.

وهي: إما حيوانية، وإما نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية، والنبات إنما يتولد من صفو الأرض والماء[3].

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ٨٤/٢٣ الطبعة الثالثة والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥٠١/٧، طبعة الشعب، دار الريان للتراث.

(٢) بعض الآية ٧ مع الآية ٨ من سورة السجدة.

(٣) يعتبر الماء عنصر البقاء لكل الأحياء من نبات وحيوان، والماء يشكل (٧٠%) من سطح الأرض، ومن الخصائص الفسيولوجية للماء أن التوتر السطحي لجزئياته عالي نسبياً مما ييسر انتقال المواد الغذائية والأملاح من التربة إلى النبات على ارتفاعات مختلفة مما ييسر نمو النبات مهما طال وارتفع عن سطح الأرض.

كما أن الماء مصدر حيوي للطاقة حيث يمكن تسخير القوى المائية لاستخدامها على سطح الأرض، وبحساب ارتفاع سطح القارات عن البحار بمقدار (٨٠٠) متراً، وبحساب أن اليابسة تمد المحيطات، بـ (٤٠) ألف كيلو متراً مكعباً من الماء سنوياً فإن هذه القوى تقدر بمقدار، (مليون مليون) وات، وهي ما يعادل الطاقة المستهلكة عالميا وسنويا.

من هذه الحقائق يتبين لنا– وهذا غيض من فيض– المعنى العظيم من قوله سبحانه وتعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) من الآية٣٠ من سورة الأنبياء وقوله تعالى: (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) من الآية ٩٩ من سورة الأنعام، ويتكون جسم الإنسان أساساً من (٦٠%) ماء، والباقي عناصر عضوية وغير عضوية، تختلف نسبة تواجدها في الجسم حسب العمر والجنس وصدق الله العظيم إذ يقول: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديراً) من الآية ٥٤ من سورة الفرقان.

=

فالإنسان بالحقيقة يكون متولداً من سلالة من طين، ثم إن تلك السلالة بعد أن تواردت على أطوار الخلقة، وأدوار الفطرة، صارت منياً.

ثم يقول الرازي: وهذا التأويل مطابق للفظ، ولا يحتاج فيه إلى التكلفات[1].

= وبتحليل البروتينات والدهنيات والكربوهيدرات إلى ذراتها من الكربون والهيدروجين والأوكسجين يمكننا أن ندرس تركيب الجسم الإنساني كمجموعة عناصر عضوية وغير عضوية.

العناصر الزهيدة:

سميت بذلك نسبة إلى قلة وجودها بالرغم من أنها بالغة الأهمية بالجسم، حيث إن أي خلل بالزيادة أو النقصان في نسبة تواجدها (٠.٠١٤ %) بالجسم يسبب المرض ومختلف العلل، وهذه العناصر هي: الحديد واليود والنحاس والمنغنيز والزنك والكوبالت، والمولبيدنيوم، والسيلينيم والكروم والقصدير والفانديوم والفلورين والسيليوكون، والنيكل والزرنيخ،

كما أن سلالة الإنسان من الطين سلالة منتقاه من عناصر الأرض التي تبلغ زهاء مائة عنصر وفي رحاب الآيات التي ذكر فيها الحديد نتدبر قوله تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) الآية ٢٥ من سورة الحديد.

فقد اشتملت الآية على كثير من إعجاز علمي: فذرة الحديد تنتج في درجة حرارة قدرها (٢٠٠٠) مليون درجة مئوية أثناء التفاعل النووي في قلب النجم الثاقب عندما تبلغ كتلته ١.٤ قدر كتلة الشمس أو أكثر ويبدأ في الفناء، وأفادت كلمة (أنزلنا) وكلمة (بأس شديد) بهذه المعاني التي كشفتها العلوم الحديثة.

أما المنافع من الحديد فيدركها كل الناس في السلم والحرب، وعلى مستوى الخلية، فالحديد عنصر هام يتطلبه النبات أثناء عملية التمثيل الضوئي الذي تقوم به البلاستيدات الخضراء، كما يدخل في تركيب الخضاب الذي ينقل الأوكسيجين إلى خلايا الجسم.

رحلة الإيمان في جسم الإنسان د/ حامد أحمد حامد ص ٢٤٩-٢٥٢ الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م دار القلم، دمشق.

(١) التفسير الكبير ٨٤/٢٣ وتحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم، ص١٧٣، ضبط وتحقيق عبد المنعم العاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

هذا بعض ما قيل في المراد (بالإنسان) في الآية الكريمة.

وجاء في قاموس قرآني[1] في قوله تعالى: (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (السلالة) الخلاصة، و (ماء مهين) بدل من سلالة، ويراد به النطفة، والمعنى: خلق ذريته من خلاصة من الغذاء هي ماء حقير.

ج-معنى السُّلاَلَة:

أما السُّلاَلَة فقد ورد في تعريفها: أنها من السَّلّ، وهو انتزاع الشيء وإخراجه في رفق.

والسَّلُّ: سلك الشعر من العجين، ونحوه، والانسلال المُضِيُّ والخروج من مضيق أو زحام، وانْسَلَّ من بينهم، أي خرج.

والسلالة: ما انسل من الشيء، وفي التنزيل: (لا يتسللون منكم لواذا)[2] قال الفراء: يلوذ هذا بهذا ويستتر ذا بذا، وقال الليث: يتسللون ويَنْسَلُّون واحد.

وسلالة الشيء ما اسْتَلَّ منه، والنطفة، سلالة الإنسان، ومن قول الشماخ.

طَوَتْ أَحْشَاَء مريجة لِوَقْتٍ على مَشَجٍ سُلاَلَتُه مَهِينُ

وقال الفراء في قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) السُّلاَلَة الذي سُلَّ من كل تربة.

وقال أبو الهيثم: السلالة: ما سُلَّ من صُلْبِ الرجل وترائب المرأة كما يُسَلَّ الشيءُ سَلاًّ.

والسليل: الولد، سُمِيَّ سليلاً، لأنه خلق من السلالة، والسليل : الولد حين يخرج من بطن أمه.

وقال قتادة: اسْتُلَّ آدم من طين فسمي سلالة، وإلى هذا ذهب الفراء.

---

(١) تأليف: حسن محمد موسى ص٥٦ طبعة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م مطبعة خليل إبراهيم.

(٢) من الآية ٦٣ من سورة النور.

وقال الزمخشري: [1] السلالة: الخلاصة لأنها تُسَلُّ من بين الكَدَر[2].

د.معنى (الطين):

جاء في لسان العرب[3]: الطين: الوَحَل- بفتح كل من الواو والحاء- واحدتُه طينة، وهي قطعة من الطين.

والطينة: الخِلْقَة والجِبلَّة، يقال: فلان من الطينة الأولى، أي الخِلْقَة، وطانه الله على الخير، أي جَبَلَهُ عليه، وطينة الرجل: خِلْقَتُه وأصله.

---

(١) الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد أبو القاسم الخوارزمي، نحوي مفسر، حنفي المذهب، معتزلي المعتقد مجاهرا به، داعية إليه، واسع العلم، غاية في الذكاء، وجودة القريحة، له مؤلفات كثيرة منها: الكشاف في التفسير، وأساس البلاغة، والفائق في غريب الحديث المفصل، شافي العي من كلام الشافعي، وشقائق النعمان، كانت ولادته رضي الله عنه عام سبع وستين وأربعمائة من الهجرة، وتوفي ليلة عرفة عام ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة، نزهة الألباب في طبقات الأدباء للانباري ص ٢٩٠ تحقيق د/ إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية ١٩٧٠م، بغداد، مكتبة الأندلس، وإنباه الرواه على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي ٢٦٥/٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

(٢) لسان العرب لابن منظور، المجلد الثاني، ص ١٨٩/١٨٨، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ونظر: قاموس قرآني تأليف حسن محمد موسى ص ٥٦ طبعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، وانظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ص ٢٠٦ والكشاف للزمخشري ٧٠/٢، والمعجم الوسيط ٧٧٩/٢ الطبعة الثانية، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤٥٠١/٧، دار الريان للتراث.

(٣) لابن منظور المجلد الثاني، ص ٦٣٨ الطبعة السابقة، وانظر الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل ابن حماد الجوهري ٢١٥٩/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

كلام الإمام ابن القيم في ذلك:

أورد الإمام ابن القيم كلاماً قيماً في مرحلة خلق الإنسان من طين فقد قال(١): لما اقتضى كمال الرب تعالى- جل جلاله- وقدرته التامة، وعلمه المحيط، ومشيئته النافذة، وحكمته البالغة تنويع خلقه من المواد المتباينة، وأنشأهم من الصور المختلفة، والتباين العظيم بينهم في المواد والصور، والصفات والهيئات والأشكال والطبائع والقوى اقتضت حكمته أن أخذ من الأرض قبضة من التراب، ثم ألقى عليها الماء، فصارت مثل الحمأ(٢) المسنون(٣).

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢٠٤ فصل (٩٨) دار الفكر.

(٢) الحَمَأ والحَمْأة: الطين الأسود المنتن، وحَمِئت البئر حَمَأً- بالتحريك-فهي حَمِئَة، إذا صارت فيها الحَمْأة وكثرت، وحَمِئَ الماء حَمْأً، وحَمَأً خالطته الحَمْأة فكدر وتغيرات رائحته، وعين حَمِئَه: فيها حَمْأة، وفي التنزيل : (وجدها تغرب في عين حمئة) من الآية ٨٦من سورة الكهف.

قال الأزهري: أحْمَأْتُها أنا إحْمَاءً إذا نَقَّيْتَهَا من حَمْأتها، وحَمَأْتُها إذا ألقيتُ فيها الحَمْأة، لسان العرب، المجلد الأول، ص٧١٢ تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، والصحاح للجوهري، ٤٥/١ والمعجم الوسيط، ١٩٥/١ الطبعة الثانية.

(٣) المسنون: من سَنَّ الشيَء يُسُنه سَنّاً فهو مسنون وسَنين، وسننه: أحدّه وصقله، قال ابن الأعرابي السَّنُّ: مصدر سَنَّ الحديد سناً، وسن عليه الدرعَ، يسُنُّها سَنّاً إذا صبها، والمِسَنُّ والسَّنَّانُ: الحجر الذي يُسَنُّ به أو يُسَنُّ عليه، والمسنون: المصقول، والمسنون المُصَوَر، والمسنون: المُنْتِن،

وقوله تعالى: (من حمأ مسنون) قال أبو عمرو: أي متغير مُنْتِن، وقال أبو الهيثم: سُنَّ الماءُ فهو مسنون، أي تغيَّر، قال الفراء: سُمِّي المسن مِسَنّاً، لأن الحديد يُسَنَّ عليه، أي يُحَكُّ عليه.

ويقال للذي يسيل عند الحَكَ، سَنِيْنٌ، قال- الفراء- ولا يكون ذلك السائل إلا مُنْتِناً، لسان العرب، المجلد الثاني، ص ٢٢١-٢٢٣، الطبعة السابقة، والصحاح للجوهري، ٢١٣٩/٥ والمعجم الوسيط ٤٥٥/١/٤٥٦.

فقد جاء في جامع الترمذي[1] عن النبي ﷺ: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض)[2].

وبعد أن صارت مثل الحمأ المسنون، أرسل عليها الريح فجففها حتى صارت صلصالاً[3].

---

(١) الترمذي هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل: محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن، أبو عيسى الترمذي الضرير، الحافظ العلم، الإمام البارع، صاحب الجامع، ولد سنة ٢١٠ من الهجرة، كان يضرب به المثل في الحفظ، صنف (الجامع) والعلل، والتواريخ، توفي رحمه الله سنة ٢٧٩ من الهجرة.
الأنساب للسمعاني ٤٣/٤٢/٣، وفيات الأعيان ٦١٣/٢٧٨/٤، سير أعلام النبلاء، ٢٧٠/١٣-٢٧٧ (١٣٢) تذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢ (٦٥٨) تهذيب التهذيب ٣٨٧/٩(٦٣٦) طبقات الحفاظ للسيوطي، ٢٧٨ (٦٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعري وتمامه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزْن، والخبيث والطيب، قال أبو عيسى هذا حديث صحيح، (والحزْن) بتسكين الزاي هو الصعب الذي لا يمكن صحبته ولا تلين أخلاقه كالأرض الحزنة، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ٢٠٤/٥ تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م الحلبي، حديث رقم ٢٩٥٥ وانظر التبيان ص ٢٠٦ فصل (٩٩).

(٣) الصَّلْصَال: من صَلَّ يصل صليلاً، وصَلْصَلَ صَلْصَلَة ومُصَلْصَلاً، وصَلَّ اللجامُ أمتد صوته، فإذا توهمتَ ترجيع صوت قلت: صَلْصَلَ وتصلصل، وكذلك كل يابس يُصَلْصِل، وصَلْصَلَةُ اللجام، صوته إذا ضُوعِف، وفَرَس صلصال، جاد الصوت دقيقة، والصلصلة صوت الحديد إذا حُرِّك يقال: صَلَّ الحديد وصَلْصَل، والصَّلْصَلَة أشد من الصليل.
والصلصال من الطين: مالم يُجْعِلُ خَزَفَاً، سُمي به لتِصَلْصُلِه، وكل ما جَفَّ من طين أو فَخَّار فقد صَلَّ صليلاً، وطينٌ صلاَّل، ومِصْلال، أي يصوت كما يُصَوَّتُ الخَزَفُ الجديد.
قال أبو إسحاق: الصَّلْصَال: الطين اليابس الذي يصل من يُبْسه، أي يُصَوَّت، وفي التنزيل العزيز: (من صلصال كالفخار) من الآية ١٤ من سورة الرحمن، قال– أبو إسحاق– =

كالفخار[1]، ثم قدر لها الأعضاء والمنافذ والأوصال والرطوبات، وصورها فأبدع في تصويرها. وأظهرها في أحسن الأشكال، وفصلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها، وهيأكل جزء منها لما يراد منه، وقدره لما خلق له عن أبلغ الوجوه، ففصلها في توصيلها، وأبدع في تصويرها وتشكيلها، والملائكة تراها ولا تعرف ما يراد منها، وإبليس يطيف بها ويقول: لأمر ما خلقت.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لما صور الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك)[2].

فلما تكامل تصويرها وتشكيلها وتقدير أعضائها وأوصالها، وصارت جسداً مصوراً، مشكلاً كأنه ينطق إلا أنه لا روح فيه ولا حياة، أرسل إليه روحه فنفخ فيه نفخة، وانقلب ذلك الطين لحماً ودماً، وعظاماً وعروقاً، وسمعاً وبصراً، وشماً وحركة، وكلاما، فأول شيء بدأ به أن قال: (الحمد لله رب العالمين) فقال له خالقه وبارئه ومصوره: (يرحمك الله يا آدم) فاستوى جالساً أجمل شيء وأحسنه منظراً، وأتمه خلقاً وأبدعه صورة فقال الرب تعالى لجميع ملائكته: (اسجدوا لآدم) فبادروا بالسجود تعظيماً وطاعة لأمر الواحد المعبود ثم قال لهم: لنا في هذه القبضة من التراب شرع أبدع مما ترون، وجمال باطن أحسن مما تبصرون،

=هو صلصال ما لم تصبه النار، فإذا مسته النار فهو حينئذ فخار وقال الأخفش: كل شيء له صوت فهو صلصال من غير الطين، وقال الجوهري: الصلصال: الطين الحُرُّ، خلط بالرمل، فصار يتصلصل إذا جَفَّ، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار، لسان العرب المجلد الثاني ص ٤٦٧ تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، والمعجم الوسيط، ٥٢٠/١ الطبعة الثانية.

(١) الفخار:ضرب من الخَزَف معروف تعمل منه الجرار وغيرها، والفَخَّارَة: الَجرَّة، وجمعها فَخَّار، وهو معروف، لسان العرب، المجلد الثاني، ص ١٠٦٠ الطبعة السابقة، والصحاح للجوهري ٢ /٧٧٩ الطبعة الثالثة.

(٢) أخرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦٤/١٦.

فلنزينن باطنه أحسنه من زينة ظاهرة، ولنجعلنه من أعظم آياتنا، نعلمه أسماء كل شيء مما لا تحسنه الملائكة،

فكان التعليم زينة الباطن وجماله، وذلك التصوير زينة الظاهر في أكمل شيء وأجمله صورة، ومعنى كل ذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضة من تراب، ثم اشتق منه صورة هي مثله في الحسن والجمال ليسكن إليها، وتقر نفسه، وليخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواه(١).

هذا: وبعد أن عرفنا المراد من قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) وعرج بنا الإمام ابن القيم على كيفية خلقه من كل من (صلصال من حمأ مسنون) و (صلصال كالفخار) نأخذ تفصيل ذلك من مصادر التفسير،

فقد قال الرازي في تفسير قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون)(٢) اعلم (٣) أن الجسم محدث، فوجب القطع بأن آدم عليه السلام وغيره من الأجسام يكون مخلوقاً عن عدم محض.

وأيضاً دل قوله تعالى: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)(٤) على أن آدم مخلوق من تراب، كما يؤيده أيضاً قوله تعالى : (هو الذي خلقكم من تراب)(٥) فيدخل في هذا آدم عليه السلام كذلك.

ودلت آيات أخرى على أنه مخلوق من الطين مثل قوله تعالى: ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾(٦) وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(٧)

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ص٢٠٤– ٢٠٥ فصل (٩٨) دار الفكر.
(٢) الآية ٢٦ من سورة الحجر.
(٣) التفسير الكبير للرازي، ١٧٩/١٩، الطبعة الثالثة.
(٤) من الآية ٥٩ من سورة آل عمران.
(٥) من الآية ٦٧ من سورة غافر.
(٦) من الآية ٧١ من سورة ص.
(٧) الآية ١٢ من سورة المؤمنون.

وقوله عز اسمه: (إنا خلقناهم من طين لازب) [١] وقوله جل شأنه: (هو الذي خلقكم من طين ثم قضي أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون) [٢] وقوله تعالى: (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) [٣]، وجاء في الآية التي معنا أن آدم عليه السلام مخلوق من صلصال من حمأ مسنون، وهو قوله سبحانه: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) [٤].

وجاء في آية أخرى أنه مخلوق من صلصال كالفخار وهي قوله تعالى: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) [٥].

وللتوفيق بين هذه الآيات كما قال الرازي: والأقرب[٦] أنه تعالى خلقه أولاً من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار.

ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجسام كان، بل هو قادر على خلقه ابتداء، وإنما خلقه على هذا الوجه، إما لمحض المشيئة، أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم، ومصلحة الجن، لأن خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه.

---

(١) من الآية ١١ من سورة الصافات.

ومعنى (لازب) أي شديد : من اللزبة أي الشدة، يقال: أصابتهم لزْبَة أي شدة، والجمع اللّزْبات بالتسكين، لأنه صفة، ومنه قولهم: هذا الأمر ضربة لازب، أي لازم شديد، ولَزَبَ الشيءُ يَلْزَبُ، لَزْباً ولُزُوباً: دخل بعضُه في بعض، ولَزَبَ الطينُ يَلْزُبُ لُزُوبا ولَزُبَ: لصق وصَلُبَ، وطينٌ لازب، أي لازق، ومنه قوله تعالى: (من طين لازب) لسان العرب، المجلد الثالث، ص٣٦١.

(٢) الآية ٢ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٧ من سورة السجدة.

(٤) الآية ٢٦ من سورة الحجر.

(٥) الآية ١٤ من سورة الرحمن.

(٦) التفسير الكبير ١٩ / ١٧٩، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٠/٣ الحلبي.

قال المفسرون: خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين، فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالاً كالخزف، ولا يدري أحد ما يراد به، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح.

وحقيقة الكلام في معنى الصلصال– كما يقول الرازي– أنه تعالى خلق آدم من طين على صورة الإنسان فجف فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة فلذلك سماه الله تعالى صلصالاً[1].

(١) التفسير الكبير ١٧٩/١٩ الطبعة الثالثة، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي/ ٤٥٠١/٧ طبعة الشعب، دار الريان للتراث،

هذا: وقد ذكر داود الأنطاكي عن قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ما يلي:

قال جل من قائل: (ولقد خلقنا الإنسان) يعني إيجاداً واختراعا لعدم سبق المادة الأصلية، (من سلالة) هي الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الامتزاج بالتفعيل الثاني، مما ركب منها بعد امتزاج القوى والصور، والتنويه باسمه إما للصورة والرطوبات الحسية، أو لأنه السبب الأقوى في تحجر الطين وانقلابه وكسر سورة الحرارة، وإحياء النبات والحيوانات اللذين هما أصل الغذاء الكائنة عنه النطف، وهذا الماء هو المرتبة الأولى والطور الأول، وقوله : (من سلالة) يشير إلى أن المواليد كلها أصول للإنسان، وأنه المقصود بالذات الجامع لطباعها، النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود الأنطاكي بهامش تذكرته المسماة تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ١٤٣/١–١٤٤، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

وانظر : رحلة الإيمان في جسم الإنسان د / حامد أحمد حامد ص ٢٥٠ وما بعدها، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م دار القلم.

المبحث الثاني

قوله تعالي: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) (النطفة والقرار المكين).

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: النطفة (الماء الدافق).

المطلب الثاني في : الصلب والترائب.

المطلب الثالث في : النطفة الأمشاج (نطفة الزيجوت).

المطلب الرابع في : تعريف الجنين في اللغة وعند الفقهاء وعند الأطباء.

المطلب الخامس في : القرار المكين (الرحم).

المطلب الأول:
النطفة (الماء الدافق)

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[1].

نقف مع هذه الآية الكريمة وقفة خاصة لنعرف المراد بالنطفة وبيان حقيقتها وتكوينها، ورأي علماء الشريعة في ذلك من مفسرين ومحدثين، والفرق بين النطفة والمني على ضوء ما ورد في الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

ثم نستعرض بمشيئة الله بعد ذلك رأي الأطباء فيما اكتشفه العلم الحديث من أسرار الخلية والنطفة : الخلية التي تزن جزءاً من المليار من الجرام، ثم يكون منها مخلوق آدمى وبشر سوي، والنطفة التي وصفها الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأنها: (ماء مهين) أي حقير.

تعريف النطفة في اللغة:

النُّطفْة والنُّطَافَة: القليل من الماء، أو هو الماء الصافي من الماء، وتجمع على نُطَف ونِطَاف، وبه سمي المَنِيُّ، نطفة لقلته ولصفائه وخلاصته، والنطفة: هي التي يكون منها الولد.

والنَّطْفُ: بتشديد النون المفتوحة وسكون الطاء– القَطْرُ والقِرْبَةُ تَنْطُفُ أي تَقْطُر، ونَطَفَ الماءُ، يَنْطُفُ ويَنْطِف، إذا قَطَرَ قليلاً قليلاً، ونَطَفَتْ آذانُ الماشية وتَنَطَّفَتْ: ابْتَلَّتْ بالماء فَقَطَرَتْ[2].

النطفة في القرآن الكريم:

قد ورد لفظ النطفة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منها:

---

(١) الآية ١٣ من سورة المؤمنون.

(٢) لسان العرب، المجلد الثالث ص٦٦٢، تقديم الشيح العلايلي، طبعة دار لسان العرب، بيروت، والصحاح للجوهري ١٤٣٤/٤ الطبعة الثالثة، والمعجم الوسيط، ٩٣١/٢، الطبعة الثانية.

١- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (١).

٢- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ (٢).

٣- وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ (٣).

٤- وقال جل شأنه: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ (٤).

٥- قال عز من قائل: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ (٥).

٦- وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٦).

٧- وقال سبحانه: (قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدره) (٧).

هذا: وإننا نكتفي بتفسير لفظ (النطفة) الوارد في قوله تعالى: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) (٨)لأن هذا النص الكريم هو موضوع البحث، وإن كنا سنتعرض بمشيئة الله بعد ذلك لتفسير لفظ النطفة أيضا في آيات أخر لتباين معناها في مواضعها عن معناها في الآية التي معنا حسبما تقتضيه طبيعة البحث.

يقول الرازي: معنى جعل الإنسان نطفة، أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طينا، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء فقذفه الصلب بالجماع إلى رحم المرأة(٩).

---

(١) الآيتان ١٢-١٣ من سورة المؤمنون.
(٢) من الآية ٥من سورة الحج.
(٣) من الآية ٦٧ من سورة غافر.
(٤) الآيتان ٤٥-٤٦ من سورة النجم.
(٥) الآيتان ٣٦-٣٧ من سورة القيامة.
(٦) الآية ٢ من سورة الإنسان.
(٧) الآيات ١٧-١٩ من سورة عبس.
(٨) الآية ١٣ من سورة المؤمنون.
(٩) التفسير الكبير للفخر الرازي ٨٤/٢٣، وانظر ص٨ من نفس الجزء، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث، العربي، وانظر الكشاف للزمخشري ٧٠/٢.

ويقول القرطبي[1]: في معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾[2] أن المعنى يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة (فإنا خلقناكم) أي خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر، يعني آدم عليه السلام (من تراب)، (ثم) خلقنا ذريته (من نطفة) وهو المني، سمي نطفة لقلته، وهو القليل من الماء[3].

ويقول ابن كثير[4]: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ ﴾ هذا الضمير عائد على جنس الإنسان، والنطفة هي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل، وهو ظهره، وترائب المرأة، وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى السرة[5].

النطفة والمني:

(١) القرطبي هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، من فقهاء المالكية المشهورين، وهو صاحب التفسير المشهور، الجامع لأحكام القرآن، وبذلك يكون قد جمع بين الفقه والتفسير، وله غيره الكثير من المصنفات، كان مقره منية ابن خصيب بمحافظة المنيا حاليا، توفى رضي الله عنه في شهر شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة من الهجرة، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف ص ١/ ١٩٧ طبعة١٣٤٩ المطبعة السلفية القاهرة.

(٢) من الآية ٥ من سورة الحج.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤٣٩٨/٦ طبعة الشعب، دار الريان للتراث.

(٤) ابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء، صاحب تفسير القرآن العظيم، وله غيره الكثير من المؤلفات، ولد سنة إحدى وسبعمائة من الهجرة في قرية شرقي بصرى من أعمال دمشق، أخذ الكثير من العلم عن ابن تيمية، وهو من فقهاء الشافعية، مات رضي الله عنه يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان عام أربع وسبعين وسبعمائة من الهجرة، ودفن بجوار ابن تيمية، طبقات المفسرين للداودي ١١٠/١ تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، مكتبة وهبة.

(٥) تفسير القرآن العظيم/لابن كثير، ٢٤٠/٣ دار إحياء الكتب العربية، الحلبي.

وانظر روح المعاني للألوسي ١٣/١٨ الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م إدارة الطباعة المنيرية.

وانظر تفسير البغوي المسمى معالم التزيل ٣٠٤/٣ دار المعرفة، بيروت، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك- مروان سوار.

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾[1].

وجه الدلالة من الآية:

دلت هذه الآية الكريمة أن القرآن الكريم قد ميز بين النطفة والمني، حيث جعل النطفة جزءاً من المني في قوله تعالى: (نطفة من مني) وقد عرفنا أن النطفة هي القليل من الماء، ومعنى ذلك أنه سبحانه وتعالى يقول– والله أعلم– ألم يك – الإنسان – ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة؟.

ومعنى (من مني يمنى) أي يصب في الرحم.

وفي قوله سبحانه: (يُمْنَى) من قوله تعالى: (من مني يمنى) فيه إشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل، إنه مخلوق من المني الذي جرى على مخرج النجاسة، فلا يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة الله تعالى، إلا أنه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى ومريم: (كانا يأكلان الطعام[2]) والمراد منه قضاء الحاجة[3].

وكما في قوله سبحانه: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى)[4].

ففيه تنبيه على كمال القدرة، لأن النطفة جسم متناسب الأجزاء، ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطباعاً متباينة[5].

وكما في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[6] لأنه لما قال تعالى في الآية التي قبل هذه مباشرة : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾[7]

(١) الآيتان ٣٦–٣٧ من سورة القيامة.

(٢) من الآية٧٥ من سورة المائدة.

(٣) التفسير الكبير ٢٣٤/٣٠، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن للأستاذ الدكتور/ محمد علي البار، ص١١١، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

(٤) الآيتان٤٥–٤٦ من سورة النجم.

(٥) التفسير الكبير ٢١/٢٩ الطبعة الثالثة.

(٦) الآيتان ٥٨–٥٩ من سورة الواقعة.

(٧) الآية ٥٧ من سورة الواقعة.

لما قال الله هذا قال الطبيعيون: نحن موجودون من نطف الخلق بجواهر كامنة، وقبل كل واحد نطفة واحدة.

فقال تعالى رداً عليهم: هل رأيتم هذا المني وأنه جسم ضعيف متشابه الصورة لابد له من مكون، فأنتم خلقتم النطفة أم غيركم خلقها[1]؟

أنواع النطفة:

تتنوع النطفة إلي ثلاثة أنواع هي:

١- النطفة المذكرة: وهي الحيوانات المنوية [2]الموجودة في المني، والتي تفرزها خصية الرجل.

---

(١) التفسير الكبير ١٧٦/٢٩.

(٢) خلال الاتصال الجنسي يقذف القضيب عدة دفقات من المني داخل مهبل المرأة، والدفقة الواحدة من المني تحمل مائتي مليون حيوان منوي، والذي يلقح البويضة من هذا الكم الهائل إنما هو حيوان منوي واحد فقط، والباقي يهلك في الطريق، من المهبل فعنق الرحم، فالرحم فقناه الرحم حيث تلتقي الحيوانات المنوية بالبويضة ويبلغ طول هذا الطريق حوالي ١٥ سنتيمتر فقط، بينما يسير المني في المسالك التناسلية عند الرجل حوالي ثمانية كيلو متراً.

والسبب في هلاك هذه الملايين من الحيوانات المنوية هو مناخ المهبل الحمضي الذي يقتلها جميعا عقب انطلاقها، بالإضافة إلى أن المني صالح بطبيعته مما يجعله لا يتحمل حموضة المهبل، ولا شك أن هناك اختياراً بعد اختيارلهذه الحيوانات، فلا يصل منها إلا ما أرادته المشيئة الالهية التي جعلت كل شيء بقدر، وأن خلاصة (سلالة) هذا الماء المهين هي التي تصل إلى البويضة لتلقيحها، وصدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم ﷺ الذي يقول في حديثه الشريف: (ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق كل شيء لم يمنعه شيء) أخرجه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ، وروي نحوه عن الإمام أحمد في المسند، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٠، والفتح الرباني للساعاتي ٢٢٠/١٦، وانظر خلق الإنسان ص ١١٢/١١١.

ويقول الدكتور/ سبيرو فاخوري في كتابه العقم عند الرجال والنساء ص ١١٠، أن النطف المنوية لا يمكن أن تعيش في المهبل أكثر من ساعتين، أما في عنق الرحم والأنابيب =

=الرحمية فهي تظل محافظة على حركتها ونشاطها مدة ٤٨ ساعة ولا يمكن للنطف أن تعيش أكثر من هذا الوقت في عنق الرحم، أما في خارج الجسم البشري، أي في غرفة المختبر فتعيش النطف مدة تتراوح بين ١٢-٢٤ ساعة.

هذا والحيوان المنوي طوله واحد من خمسمائة من البوصة (هو وذيله) وعرضه واحد من ثمانية آلاف من البوصة – البوصة مساحتها اثنين سنتيمتر ونصف السنتيمتر- ولهذا تعتبر البويضة ماردا بحجمها تجاهه فقطرها يبلغ واحداً من مائتين وخمسين من البوصة، بينما يزيد وزنها عن الحيوان المنوي خمسين ألف مرة.

وقد جاء في كتاب مع الطب في القرآن الكريم للدكتورين عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز ص ٧٦ هامش رقم (١)(كل دفقة مني تحوي (٣-٥) سم٣، وكل واحد سم٣ من هذا الماء الدافق يحوي (٦٠-٨٠) مليون نطفة، وكل نطفة بطول بين (٥٥-٦٥) ميكرون- الميكرون واحد على ألف من المليمتر- وتتألف من رأس كمثري الشكل، وعنق وذيل طويل يبلغ طوله (٤٥) ميكرون يساعد النطفة في الحركة أثناء عبورها الرحم والبوق، وتقدر سرعتها وسطيا بـ(٢-٣) مم دقيقة، وانظر الطب محراب الإيمان ٤٩/٢.

وقد قدر أهل الخبرة في ذلك أن كشتباناً مليئا بخلايا المني من شأنه أن يضاعف عدد سكان الكرة الأرضية، إذا توفر له حجم صندوق حذاء ملئ بالبويضات.

ولعل هذه هي الحكمة الالهية في أن هذا العدد الهائل من الملايين من الحيوانات المنوية التي يقذفها القضيب داخل المهبل تموت كلها عدا حيوان منوي واحد تلقحه البويضة، إذ أن تلقيح هذا الكم من الحيوانات المنوية المذكرة كله يحتاج نظيره في العدد من البويضات المؤنثة، ولو فرض واستطاعت المرأة تكوين بويضة واحدة فقط لدى كل اتصال جنسى مقابل هذه الملايين من الحيوانات المنوية التي يقذفها القضيب داخل المهبل لضاقت الأرض على سعتها بالنسل والذراري، ولكان على الناس أن يجنحوا إلى الحياة في البحار كالأسماك مقتتلين طلباً للغذاء على كل شيء حتى على أوراق الأشجار والأعشاب والنباتات. العقم عن الرجال والنساء ص١١٠، وانظر دليل المرأة الطبي ديفيد رورفيك ص ٧٧ الطبعة السابعة، وانظر تنظيم الحمل بالوسائل العلمية الحديثة، د/ سبيروفاخوري، ص ٤١، وانظر : أطفال تحت الطلب، د/ صبري القباني، ص٢٨.

٢- النطفة المؤنثة: وهي البويضة[١] التي يفرزها مبيض المرأة مرة في الشهر.

٣- النطفة الأمشاج: وهي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة، وتسمى نطفة (الزيجوت) أي: (البويضة الملقحة)[٢] وسنتناول بمشيئة الله ذلك بشيء من التفصيل بعد قليل.

المني وتكوينه وصفته:

المني هو ماء الرجل[٣]، وقد عرفه الإمام ابن القيم فقال: إن المني رطوبة سيالة[٤].

---

(١) بويضة المرأة التي يفرزها المبيض مرة واحدة كل شهر، لاتعيش أكثر من ٢٤ ساعة بل إن فترة الخصوبة للبويضة هي ١٢ساعة فقط، وتعتبر البويضة أكبر خلية إنسانية، فقطرها كما أسلفنا واحد من مائتين وخمسين من البوصة، أو بعبارة أخرى يبلغ قطر البويضة مائتي ميكرون، أي : خُمْس مليمتر (واحد على خمسة من المليمتر) بينما معظم خلايا الجسم لا تزيد عن بضعة ميكرونات، وإذا قارناها- البويضة- بالحيوان المنوى فإننا سنجد فرقاً شاسعاً كما ذكرنا، فالحيوان المنوى واحد من خمسمائة من البوصة أو بعبارة أخرى لا يزيد عن خمسة ميكرونات، ومع هذا فإن الحيوان المنوي يساهم بنصف تكوين الجنين تماماً.

ونكرر القول للتأكيد أن الميكرون الواحد عبارة عن (واحد على ألف من المليمتر) أي (واحد على مليون من المتر) واللإنجستروم واحد على بليون من المتر) خلق الإنسان ص ١٧١، تنظيم الحمل بالوسائل العلمية الحديثة، ص ٥٣ والعقم عند الرجال والنساء، ص ١٩٥، وأطفال تحت الطلب، ص٣٠-٣٦.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص١٠٩ الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

وانظر : رحلة الإيمان في جسم الإنسان د/ حامد أحمد حامد، ص٥١ وما بعدها، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دارالقلم، بيروت، وانظر : حمل سهل وولادة بلا ألم د/ محمد مرسى، ص ١٦ مكتبة القرآن، بولاق، القاهرة.

(٣) لسان العرب، المجلد الثالث، ص٥٣٩ والصحاح ٢٤٩٧/٦.

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص ٢٠٧ وجاء في ذيل تذكرة داود، المني هو أول أجزاء التخلق، وقد وقع الإجماع على أن يكون من خالص الغذاء، وأنه ينفصل من هضم العروق بعد اثنين وسبعين ساعة من تناول الغذاء المعتدل المزاج وتكون صحته بحسب صحة الغذاء.

وفي الطب يطلق لفظ المني على الافرازات التناسلية للرجل، والتي تفرزها الخصية والبروستاتا والحويصلة المنوية(١).

والمني يتكون من شيئين:

الأول: هو الحيوانات المنوية التي تتكون من القنوات المنوية في الخصية، وهي ذاتها المسماة بالنطفة.

الثاني: هو السائل(٢) المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات ويغذيها، والتي تسبح فيه حتى تصل إلى الرحم(١).

---

(١) رائحة المني وهو في بداية قذفه من الرجل كرائحة العجين، ثم تتحول رائحته إلى الحموضة اللاذعة بعد فترة من الوقت غير طويلة، وطعم المني مالح، وملوحته تتراوح بين٦.٨-٧.٧.

وأول من اكتشف وجود الحيوانات المنوية في السائل المنوي هو التاجر الهولندي (لوفن هواك) في عام ١٦٦٧م وكان ذلك بطريق الصدفة، وقد راعه ما رآه آنذاك في عدسته التي كان يتفحص بواسطتها غرائب وعجائب المخلوقات- وسنريد هذا بمشيئة الله أيضاحا في حينه من البحث- انظر العقم للدكتور / سيبرو فاخوري، ص ١٠٥-١٠٧، وانظر أطفال تحت الطلب د / صبري القباني، ص ٣٠-٣٦.

وتطور الجنين وصحة الحامل د/ محي الدين طالو ص٣٥١.

(٢) للسائل المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات المنوية وظائف وفوائد عدة منها:

أ-تغذية هذه الحيوانات وتنشيطها، وإيجاد مكان ملائم جدا للسباحة فيه حتى تتطلق من الخصية إلى الإحليل- القضيب- ومن ثم إلى مهبل المرأة فالرحم فقناتي الرحم حيث يتم تلقيح البويضة في إحدى القناتين.

ب- حماية الحيوانات المنوية من تأثيرات الإفراز الحامضي القاتل للحيوانات المنوية في المهبل.

إنها قدرة الله تجلت في أعظم صورها، وأبهى معانيها لما نعرف أن السائل المنوي قلوي التفاعل، بينما إفرازات المهبل حامضية، ولا يمكن أن تعيش الحيوانات المنوية في البيئة الحامضية كتلك الموجودة في المهبل،

لذا فإن السائل المنوي القلوي التفاعل يحمي الحيوانات المنوية من تأثيرات إفرازات المهبل الحامضية حتى تصل إلى عنق الرحم القلوى الإفراز مثلها. =

وخاصة مني الرجل: [٢]الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع.
يقول ابن سينا في قانونه: مني الذكر يندفق في قرن الرحم، فيبلعه فم الرحم بجذب شديد.... مني الرجل حار نضيج ثخين[٣].
وخاصة مني المرأة[٤] الرقة والصفرة والسيلان بغير دفق ودفع[٥].

= هذا: ومما تجدر الإشارة إليه – لأن كل شيء عند الله بقدر– أن حامضية المهبل ليست عبثا، وإنما تؤدي وظيفة في منتهى الأهمية، وهي حماية المهبل، وجهاز المرأة التناسلي من الميكروبات الضارة، فتقتلها، ولذا فقد هيأ الله سبحانه وتعالى للحيوانات المنوية هذا الماء الدافق القلوي التفاعل حتى يحمي هذه الحيوانات المنوية من افرازات المهبل الحامضية، ويوصلها إلى عنق الرحم القلوي الافراز لأنه قلوي مثلها كما ذكرنا، خلق الإنسان للأستاذ الدكتور/ محمد علي البار ص ١١٤، الطبعة الرابعة.

(١) خلق الإنسان ص ١١٠ والعقم عند الرجال والنساء د/ سبيرو فاخوري ص ١٠٣.

(٢) غير أنه سرعان ما يتحلل ويتحول إلى سائل لزج في حالة تعرضه للهواء، العقم عند الرجال والنساء ص ١٠٣.

(٣) القانون في الطب لابن سينا، ٥٣٣/٢.

(٤) نفي بعض الأطباء ومنهم أرسطو أن يكون للمرأة مني، وقد أكثر جالينوس(أشهر أطباء اليونان القديمة) من التشنيع عليه في ذلك وأثبت أن للمرأة منياً.

قال ابن القيم: وهذا هو السؤال الذي أوردته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأم سلمة رضي الله عنها على النبي ﷺ وأجابهما عنه بإثبات مني للمرأة.

فعن أم سلمة قالت: (جاءت أم سُلَيْم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتملت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم إذا رأت الماء، فقالت أم سلمة: يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ فقال : تربت يداك فبم يشبهها ولدها) رواه الشيخان واللفظ لمسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٤/٢٢٣/٣.

وعن عائشة رضي الله عنها (أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: وهل تغتسل المرأة إذا احتملت وأبصرت الماء؟ فقال نعم، فقالت لها عائشة: تربت يداك وأُلَّتْ، قالت: فقال رسول الله ﷺ دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه) رواه مسلم واللفظ له، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٥/٣ وانظر التبيان لابن القيم ص ٢١٠ فصل (١٠٠).

(٥) التبيان ص ٢١١.

جاء في النزهة المبهجة[1] : ليس في مني المرأة قوة عاقدة استقلالا ولا تدفقاً أصلاً، ومني المرأة في الأغلب يكون رقيقا أصفر.

وجاء في القانون[2]: ومني المرأة من جنس دم الطمث نضيج يسير، وجاء في ذيل التذكرة[3]: الاستقلال لمني النساء بالتوليد لعدم انعقاده.

قال ابن القيم: وفي كل من الماءين قوة، فإذا انضم أحدهما إلى الآخر اكتسبا قوة ثالثة وهي من أسباب تكوين الجنين، وقد أثبتت هذا السنة النبوية المطهرة.

فعن [4]ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.... قال: (كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي، إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال : اسمع بأذنيَّ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: سَلْ، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير

(١) في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة، لداود الأنطاكي بذيل تذكرته، ٢٦٠/١.

(٢) في الطب لابن سينا ٥٣٣/٢.

(٣) ذيل تذكرة داود الأنطاكي من تأليف أحد تلاميذ داود، ٣٤/٢، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

(٤) ثوبان هو: ثوبان بن بُجْدُد، أبو عبد الله، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصابه سبيُ فاشتراه واعتقه، كان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدى ما وعى، روى عنه جماعة من التابعين، خرج إلى الشام فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص وتوفي بها – رضي الله عنه– سنة ٥٤ من الهجرة.
الطبقات الكبرى، ٤٠٠/٧ حلية الأولياء، ١٨٠/١–١٨٣ (٣١) التاريخ الكبير، ١٨١/٢ (٢١٢٨) الاستيعاب ٢١٨/١ (٢٨٢) أسد الغابة ٢٩٦/١–٢٩٧ (٦٢٤) الإصابة ٢١٢/١ (٩٦٣).

الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة؟قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟قال زيادة كَبِدِ النَّون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال فما شرابهم عليه؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت.

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذنيَّ، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر[1]، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرآة مني الرجل آنثا، بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، ومالي علم بشيء منه حتى آتاني الله به) [2].

وفي حديث البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (بلغ عبد الله بن سلام[3] مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن

---

(١) أثبت علم الطب الحديث صدق وصف الرسول ﷺ لماء المرأة بأنه أصفر، فقد أثبت العلم الحديث أن ماء المهبل يميل إلى الصفرة، وكذلك الماء في حويصلة جراف، وعند خروج البويضة، من هذه الحويصلة تدعى حيئذ الجسم الأصفر وهذا من الإعجاز لأنه لم يكن معلوماً آنذاك. خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص٣٩٠ بالهامش.

(٢) أخرجه مسلم صحيح مسلم بشرح النووي ٣/٢٢٦-٢٢٨ والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢١٥.

(٣) عبد الله بن سلام هو:عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي، ثم الأنصاري، كان حليفا لهم من بني قينقاع، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، كان اسمه في الجاهلية الحصين، أسلم عام الهجرة وفيه نزلت بعض آيات الكتاب العزيز، توفي – رضي الله عنه- سنة ٤٣ من الهجرة.

التاريخ الكبير ١٩/١٨/٢ (٢٩) الطبقات الكبرى، ٣٥٣/٣٥٢/٢، الاستيعاب ٩٢١/٣-٩٢٣ (١٥٦١) أسد الغابة ٢٦٤/٣-٢٦٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦-٢٧ (١٢).

إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخبرني آنفا جبريل) فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال: – أي النبي صلى الله عليه وسلم– (أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها) قال: – عبد الله ابن سلام– أشهد أنك رسول الله) [1].

النطفة في السنة المطهرة:

١– عن عبد الله بن مسعود [2]قال: (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، وذريته ٣٦٢/٦ طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٢) عبد الله بن مسعود هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي. أسلم أول الإسلام، وهو ؟أول من جهر بالقرآن الكريم في مكة المكرمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، هاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وشهد بدراً وأحدا والمشاهد كلها، شهد له النبي ﷺ بالجنة، أكثر رضي الله عنه من رواية الحديث عن النبي ﷺ وهو أحد علماء الصحابة، توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة، ودفن بالبقيع، أسد الغابة ٢٦٠/٣.

النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[1].

٢- (عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : وَكَّلَ الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال : أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل. فيكتب كذلك في بطن أمه)[2].

قال ابن حجر[3] في معنى الحديث الأول: إن الذي يجمع هو النطفة، والمراد بالنطفة المني، وأصله الماء الصافي القليل.

ونقل- ابن حجر- عن ابن الأثير[4] في النهاية أنه قال: يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم، أي تمكث النطفة أربعين يوما تخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ثم تخلق بعد ذلك[1].

---

(١) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم، فتح الباري ٤٤٠/١٣ باب قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) وج١١ من فتح الباري أيضا، ص ٤٧٧ كتاب القدر، وصحيح مسلم بشرح النووي، ١٨٩/١٦-١٩٢ وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٤١ طبعة دار الفكر.

(٢) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري، فتح الباري ٤٧٧/١١ طبعة دار المعرفة، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٩٥/١٦.

(٣) ابن حجر هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي، صاحب الشرح المعروف بفتح الباري على صحيح البخاري، برع في الشعر والأدب، له مصنفات غير الشرح المذكور منها: تهذيب التهذيب، والإصابة في تمييز الصحابة وغيرها، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من الهجرة، ومات رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة من الهجرة، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٤٨.

(٤) ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين، ابن الأثير الجزري، ولد سنة ٥٤٤من الهجرة أشهر العلماء ذكراً، صاحب التصانيف البديعة منها (جامع الأصول في أحاديث الرسول) (النهاية في غريب الحديث) و(الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف) (الشافي شرح مسند = =الشافعي)

وقيل: إن ابن مسعود فسره بأن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشراً، صارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين يوما، ثم تنزل دماً في الرحم فذلك جمعها[٢].

وفي حديث مالك بن الحويرث[٣] أن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعضو منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضره في كل عرق له دون آدم – في أي صورة ما شاء ركبك)[٤].

عرض له مرض كَفَّ يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا، توفي – رحمه الله– سنة ٦٠٦ من الهجرة.

وفيات الأعيان ١٤١/٤-١٤٣ (٥٥٢)طبقات الشافعية للأسنوي ١٣٠/١-١٣٢ (١١٨) سير أعلام النبلاء ٤٨٨/٢١-٤٩١ (٢٥٢) معجم الأدباء لياقوت ٧١/١٧-٧٧(٢٣) بغية الوعاة للسيوطي ٢٧٤/٢-٢٧٥ (١٩٦٥).

(١) فتح الباري ٤٧٩/١١، ٤٨٠.

(٢) فتح الباري٤٨٠/١١.

(٣) مالك بن الحويرث هو: مالك بن الحويرث بن أشيم، أبو سليمان، قدم على النبي ﷺ في شبيبة من قومه، فعلمهم الصلاة وأمرهم بتعليم القرآن، توفي – رضي الله عنه– بالبصرة، سنة ٩٤ من الهجرة.

الاستيعاب ١٣٤٩/٣ (٢٢٦٨) أسد الغابة ٢٠/٥-٢١ (٤٥٨٠) الإصابة ٢١/٦ (٧٦٠٥).

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٤١، دار الفكر، قال ابن منده: اسناده متصل مشهور على رسم أبي عيسى والنسائي وغيرهما.

المطلب الثاني
(الصلب والترائب)

الصلب والترائب عند أهل اللغة:

أ-الصلب:

جاء في لسان العرب[1]: الصُّلْب- بضم الصاد المشددة وسكون اللام- من الظهر، وكل شيء من الظهر فيه فقار فذلك الصُّلْب. والصَّلَب، بفتح الصاد المشددة مع فتح اللام- لغة فيه.

وفي الحديث الشريف: (... وفي الصلب الدية[2]...) أي إن أصيب صلبه بشيء ذهب به الجماع فلم يقدر عليه، فسمي الجماع صُلْباً لأن المني يخرج منه.

ب-الترائب:

جاء في لسان العرب[3]: الترائب موضع القلادة من الصدر، وقيل : هو ما بين الترقوة، بفتح التاء المشددة وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو- إلى الثَّنْدُوَة[4]، - بفتح الثاء المشددة وسكون النون وضم الدال وفتح الواو، وقيل: الترائب عظام الصدر، وقيل : ما وَلِيى، بفتح الواو وكسر اللام وفتح الياء-

---

(١) لابن منظور الأفريقي ٢٤٧٦/٤ طبعة دار المعارف.

(٢) رواه النسائي وقال : وقد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلاً. نيل الأوطار للشوكاني ٥٧/٧ الطبعة الأولى (صفر ١٣٥٧هـ المطبعة العثمانية، المصرية.

(٣) لابن منظور ٤٢٤/١/ ٤٢٥ طبعة دار المعارف.

(٤) الثَّنْدَوة – بفتح الثاء المشدودة وسكن النون وضم الدال وفتح الواو – لحم الثدي. وقال ابن السكيت: الثندوة : اللحم الذي حول الثدي. وقال غيره : الثندوة للرجل، والثدي للمرأة. لسان العرب ٥١٠/١٠ طبعة دار المعارف. وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبه تحقيق السيد أحمد صقر ص٥٢٣ طبعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م والمعجم الوسيط ١٠١/١ الطبعة الثانية.

التَّرْقَوَتْين[1] منه– وقيل: ما بين الثَّدْيَيْنْ، والترقوتين، وقيل: الترائب أربعة أضلاع من يمنه– بفتح الياء وسكون الميم وفتح النون– الصدر، وأربعة من يَسْرَته– بفتح الياء وسكون السين وفتح الراء، وقيل : الترائب: اليدان والرجلان والعينان واحدتها تريبة.

وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر وأنشدوا:

مهفهفة بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَة

تَرائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كالسّجَنجَلْ

الصلب والترائب عند المفسرين:

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[2].

أولاً: معنى دافق: أي متدفق، أي منصب يخرج دفقاً من الرجل، ومن المرأة.

بهذا قال الرازي[3] وابن كثير والقرطبي[4].

وبهذا المعنى قال أيضا الشيخ الرئيس الطبيب ابن سينا في قانونه حيث قال: مني الذكر يندفق في قرن الرحم فيبلعه فم الرحم بجذب شديد، وإن مني الأنثى يندفق من داخل رحمها من أوعية وعروق إلى موضع الحبل[5]،

---

(١) الترقوتان : بفتح التاء المشددة وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو مع فتح التاء – العظمان المشرفان في أعلى الصدر من صدر راسي الَمْنِكَبْين – بفتح الميم وسكون النون وكسر الكاف وفتح الباء وسكون الياء – إلى طرف ثُغْرَة – بضم الثاء وسكون الغين وفتح الراء – النحر. (لسان العرب ٤٢٥/١. والصحاح ١٤٥٣/٤ الطبعة الثالثة تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

(٢) الآيتان ٦، ٧ من سورة الطارق.

(٣) التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب ١٢٨/٣١ الطبعة الثالثة.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧٠٩٤/١٠ دار الريان للتراث، القاهرة.

(٥) القانون في الطب لابن سينا ٥٣٣/٢. طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة، بولاق. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ثانياً: معنى الصلب والترائب: الألوسي[١] والطبري[٢] وابن كثير[٣]: (الصلب والترائب) أي صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: هذه ترائب المرأة، ووضع يده على صدره وعنه أيضا: تريبة المرأة موضع القلادة، وعنه كذلك : الترائب بين ثدييها.

هذا: وقد فصل الرازي في تفسيره[٤] القول في بيان معنى الصلب والترائب حيث قال: في هذه الآية قولان: (أحدهما) أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة (ثانيهما) أنه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه.

واحتج صاحب القول الثاني– أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه– على مذهبه بوجهين:

الأول: أن ماء الرجل خارج من الصلب فقط، وماء المرأة خارج من الترائب فقط، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب وذلك على خلاف الآية.

الثاني– أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق (من ماء دافق) والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل، ثم عطف عليه بأن وصفه بأنه (يخرج) يعني هذا الدافق (من بين الصلب والترائب) وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط،

وقد أجاب القائلون بالقول الأول– أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة– عن الحجة الأولى: أنه يجوز أن يقال للشيئين

---

(١)روح المعاني ٩٧/٣٠ الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٩١/٣٠–٩٢ الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ بولاق.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٩٨/٤ طبعة الحلبي، وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، ص ٥٢٣.

(٤) التفسير الكبير للرازي ١٢٨/٣١ الطبعة الثالثة.وانظر تفسير المراغي ١١٤/١١٣/٣٠ الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ وانظر : الأساس في التفسير لسعيد حوى المجلد الحادي عشر ص٦٤٦٩ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

المتباينين أنه يخرج من بين هذين خير كثير، ولأن الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد، فحسن هذا اللفظ هناك.

وأجابوا عن الحجة الثانية: بأن هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكل، فلما كان أحد قسمي المني دافقا أطلق هذا الاسم على المجموع.

ثم قالوا: والذي يدل على أن الولد مخلوق من مجموع الماءين، أن مني الرجل وحده صغير فلا يكفي[1]، ولأنه ﷺ قال: (إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه)[2].

الصلب والترائب عند الأطباء:

بالاطلاع على مراجع الطب الحديثة للأطباء المتخصصين في هذا المجال نجدهم يختلفون مع المفسرين القدامى حول معنى الصلب والترائب الوارد في الآية الكريمة: (يخرج من بين الصلب والترائب).

فقد جاء في كتاب (مع الطب في القرآن الكريم)[3] آية كريمة حيرت العلماء والمفسرين: (يخرج من بين الصلب والترائب) ولابد لفهمها من أن يتعرف القارئ– ولو على سبيل الاختصار– على الناحية التشريحية للجهاز التناسلي:

إن النطاف– الحيوانات المنوية– تتكون عند الرجل في أنابيب الخصية، ثم تنتقل بعد كمال تكوينها ونضجها بالحبل المنوي إلى الحويصلين المنويين، ومنهما إلى القناتين الدافقتين في الإحليل– القضيب– ثم يخرج المني آخر الأمر من الإحليل إلى خارج الجسم.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٢٨/٣١. الطبعة الثالثة.

(٢) من حديث رواه مسلم بلفظه عن عاشئة رضي الله عنها. صحيح مسلم بشرح النووي ٢٢٥/٣. وأورده ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن ص٢١٠.

(٣) للدكتورين/ عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ص٣٢ تقديم الدكتور/ محمود ناظم نسيمي الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

الصلب يشمل: العمود الفقري الظهري، والعمود الفقري القطني، وعظم العجز ويشتمل من الناحية العصبية على المركز التناسلي الآمر بالانتعاظ[1] ودفق المني وتهيئة مستلزمات العمل الجنسي.

كما أن الجهاز التناسلي تعصبه ضفائر عصبية عديدة ناشئة من الصلب، منها: الضفيرة الشمسية، والضفيرة الخثلية، والضفيرة الحويضية، وتشتبك في هذه الضفائر الجملتان: الودية ونظيرة الودية المسئولتان عن انقباض الأوعية وتوسيعها، وعن الانتعاظ والاسترخاء وما يتعلق بتمام العمل الجنسي،

---

(١) الانتعاظ : أي الانتشار، وهو انتصاب القضيب عند الرجل وسبب انتصاب القضيب هو أعصاب خاصة من الجهاز العصبي اللاإرادي، وتدعى بنظير التعاطفي، وبواسطتها تمتلئ الأوردة الدموية الكثيفة في القضيب فتسبب الانتصاب، وهذه الأعصاب تأتي من منطقة بين الصلب والترائب، خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور/ محمد علي البار.

وقد ورد مثل هذا في الطب القديم كذلك، فقد جاء في القانون في الطب لابن سينا تحت عنوان (سبب الانتشار) الانتشار يعرض لامتداد العصبة المجوفة وما يليها مستعرضة ومستطيله لما ينصب إليها من ريح قوية بسوقها ريح شهواني متين فينساق معه دم كثير وروج غليظة، ولذلك يعرض انتشار عند النوم من سخونة الشرايين التي في أعضاء المني، القانون ٥٣٣/٢.

وجاء أيضا في النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود الأنطاكي ١٤١/١ المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

وانتشار هذا العضو بحسب ما يدخل في أصوله من البخار الحار ولذلك تضعف حركته في عاجز القوى والمبرود.

قالوا والطبيعي منه ما كان طوله ثمانية أصابع عرضا وعرضه اثنتان وما زاد أو نقص فبحسبه،

والأكثر على قبوله الزيادة بالعلاج لأنه من العروق القابلة للتمدد، ولكن إن صح هذا فقبل البلوغ اسرع نتاجاً للين الآلة حينئذ.

هذا: أما السبب في خروج المني من الرجل على عدة دفقات وليس مرة واحدة فسيأتي بمشيئة الله في حينه بعد سطور.

وإذا أردنا أن نحدد ناحية الصلب المسئولة عن هذا التعصيب قلنا: إنها تحاذي القطعة الظهرية الثانية عشرة، والقطنية الأولى والثانية، والقطع العجزية الثانية والثالثة والرابعة(١).

أما الترائب: فقد ذكر لها المفسرون– الكلام لمؤلفي مع الطب في القرآن الكريم– معاني كثيرة فقد قالوا: إنها عظام الصدر والترقوتان واليدان والرجلان وما بين الرجلين والجيد والعنق وغير ذلك.

وما دام في الأمر سعة، فإننا نأخذ من هذه المعاني ما يتفق مع الحقيقة العلمية، وسنعتمد على التفسير القائل بأن الترائب هنا هي عظام أصول الأرجل، أو العظام الكائنة ما بين الرجلين.

فيكون المعنى: إن الماء الدافق هو ماء الرجل، أي المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه (أي أصول الأرجل) وبذلك فقد أصبح معنى الآية واضحا، لأن معظم الأمكنة والممرات التي يخرج منها السائل المنوي والتي ذكرناها سابقاً تقع من الناحية التشريحية بين الصلب والترائب.

فالحويصلان المنويان يقعان خلف غدة الموثة (البروستات) والتي يشكل إفرازها قسماً من السائل المنوي وكلها تقع بين الصلب والترائب.

ويجب أن نذكر هنا أن الحويصلين المنويين لهما دور إيجابي في عملية قذف السائل المنوي للخارج على شكل دفقات(٢) بسبب تقلص العضلات الموجودة بهما.

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم ص٣٢ الطبعة الثانية. وانظر رحلة الإيمان في جسم الإنسان د/ حامد أحمد حامد ص٤٧ / ٤٨.

(٢) قد أوضح هذه الجزئية الأستاذ الدكتور/ محمد علي البار، في كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص ١١٤–١١٥ حيث يقول: سبب تدفق المني هو تقلصات في جدار الحويصلة المنوية، مع تقلصات القناة القاذفة للمني مع تقلصات أيضا في عضلات العجان فتدفع بالسائل المنوي بمحتوياته من ملايين الحيوانات المنوية عبر القضيب إلى

ولا يبقى أي إشكال في أن الآية الكريمة أشارت على وجه الإعجاز والموعظة يوم لم يكن تشريح ولا مجهر إلى موضع تدفق المني من الإنسان وسبب تدفقه.

وبذلك نستطيع أن نقول: أنه– المني– خرج من بين صلب الرجل كمركز عصبي تناسلي آمر، وترائبه كمناطق للضفائر العصبية المأمورة بالتنفيذ، حيث يتم بهذا التناسق بين الآمر والمأمور خروج المني إلى القناتين الدافقتين وهذا ثابت من الناحية العلمية، وموضح لدور الجملة العصبية، ولابد من تعاون الجانبين لتدفق المني، فإن تعطل أحدهما توقف العمل الجنسي الغريزي(١).

وقد أيد هذا الأمر الأستاذ الدكتور/ محمد علي البار، بل زاده إيضاحا حيث يقول(٢):

والآية الكريمة (من بين الصلب والترائب) إعجاز كامل حيث تقول: من "بين الصلب والترائب " ولم تقل من الصلب والترائب، فكلمة " بين) ليست بلاغية فحسب، وإنما تعطي الدقة العلمية المتناهية.

وقد فطن الإمام ابن القيم وتنبه إلى ما تشير إليه معنى (بين) الواقعة في الآية فقال: ولا خلاف(٣) أن المراد بالصلب صلب الرجل، واختلف في الترائب

المهبل وهذا هو سبب حدوث الرعشة عند الرجل وقت القذف، وذلك كله متعلق بالجهاز العصبي اللاإرادي والمسمى بالجهاز التعاطفي.

وهذا – سبب تدفق المني وإحداث الرعشة وكذا الذي قبله وهو الانتصاب والانتشار واضح في أن كلا منهما موكول إلى جهاز غير إرادي لا تتحكم فيه أرادة الرجل، وهذا دليل على قدرة الله والعظمة الإلهية التي تبهر العقول، وذلك بخروج أمر الخلقة البشرية من كل شبهة للإرادة الإنسانية، ألا له الخلق والأمر، سبحانه خلق كل شيء فقدره تقديراً.

(١)مع الطب في القرآن الكريم د. عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز ص٣٣ – ٣٤.

(٢) في كتابة خلق الإنسان ص١١٦.

(٣) أعلام الموقعين ١/١٤٥–١٤٦ مراجعة وتقديم وتعليق طه عبد الروءف سعد، طبعة جديدة، محرم ١٣٨٨هـ أبريل ١٩٦٨ الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

فقيل: المراد بها ترائبه– الرجل– أيضاً ،وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الثندوة[١]، وقيل المراد بها ترائب المرأة.

والأول– ترائب الرجل– أظهر لأنه سبحانه قال: (يخرج من بين الصلب والترائب)ولم يقل : يخرج من الصلب والترائب، فلابد أن يكون ماء الرجل خارجاً من بين هذين الملتقيين، كما قال في اللبن(يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) [٢].

ويؤكد الدكتور / محمد علي البار[٣] ما أورده الشيخ المراغي في تفسيره[٤] من إيضاح علمي حديث في علم الأجنة لهذه المسألة، حيث يقول– الشيخ المراغي– (وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب، وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى على قدر ماأولى كل منهم من علم، وإن كان بعيدا عن الفهم الصحيح والرأي السديد).

ذلك أنه في الأسبوعين السادس والسابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى (جسم ولف) وقناته على كل جانب من جانبي العمود الفقري، ومن جزء من هذا تنشأ الكلى، وبعض الجهاز البولي، ..... ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة، فكل من الخصية والمبيض في بدء

(١)سبق تعريف الثندوة– بالثاء المشددة المفتوحة وسكون النون وضم الدال وفتح الواو– بأنها الثدي، أو اللحم الذي حول الثدي، والثندوة كالثدي للمرأة، لسان العرب ١/ ٥١٠ والمعجم الوسيط ١٠١/١. والترقوة– بالتاء المشددة المفتوحة وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو العظم البارز في أعلى الصدر وهو الذي بين ثغرة النحر والعاتق، لسان العرب، ٤٢٥/١ والصحاح ١٤٥/٤.

(٢)من الآية ٦٦ من سورة النحل.

(٣)خلق الإنسان ص١٢٠.

(٤)تفسير المراغي١١٣/٣٠–١١٤. الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

تكوينهما يجاور الكلى، ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا ومقابل أسفل الضلوع(١).

ومما يفسر لنا صحة هذه النظرية أن الخصية والمبيض يعتمدان في نموهما على الشريان الذي يمدهما بالدم، وهو يتفرع من الشريان الأورطي في مكان يقابل مستوى الكلى الذي يقع بين الصلب والترائب، ويعتمدان على الأعصاب التي تمد كلا منهما، وتتصل بالضفيرة الأورطية، ثم بالعصب الصدري العاشر، وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادي عشر، وكل هذه الأشياء تأخذ موضعها في الجسم، فيما بين الصلب والترائب.

فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما، وفي إمدادهما بالدم الشرياني، وفي ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب، فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم، وجاء به

(١) جاء في كتاب خلق الإنسان ص ٢٧، ٢٨، ١١٦ أن الخصيه للذكر والمبيض للأنثى إنما يتكونان من الحدبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه– الحدبة– بفتح الثلاث– نتوء في الظهر، الصحاح ١٠٨/١ والمعجم الوسيط ١٥٩/١ – والصلب هو العمود الفقري، والترائب هي الأضلاع، وتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة بالضبط أي بين الصلب والترائب، وبجوار الكلي، ثم تنزل الخصية، تدريجيا حتى تصل إلى كيس الصفن (خارج الجسم) في أواخر الشهر السابع من الحمل أو في الشهر التاسع، أي قبل أن يولد الجنين وينزل إلى الدنيا، بينما ينزل مبيض الأنثى إلى الحوض ولا ينزل أسفل من ذلك، أي لا ينزل خارج جسمها كما تنزل الخصيتين للذكر خارج الجسم.
هذا: والحكمة الالهية من وجود الخصيتين للذكر خارج الجسم هي أن حرارة الجسم عادة تكون ٣٧ درجة مئوية، وهذه درجة عالية من الحرارة على الخصيتين لا تسمح بتوالد الحيوانات المنوية فيهما، لأن الحيوانات المنوية في حاجة إلى ٣٥ درجة مئوية فقط حتى تعيش، لذلك اقتضت الحكمة الالهية وجود الخصيتين خارج الجسم حتى تساعد على توالد الحيوانات المنوية.

رب العالمين، ولم يكشفه العلم إلا حديثا بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول ذلك الكتاب) [1].

انتهى كلام الشيخ المراغي، وقد أيده الأستاذ الدكتور/ محمد علي البار، حيث قال[2]: وهكذا تتطابق الحقيق العلمية والحقيقة القرآنية، ولا غرابة فإن منشأ الحقيقة العلمية هو الله سبحانه وتعالى، وهو خالقها، فإذا تحدث عنها الرب سبحانه وتعالى فهو أعلم بها، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

هذا وقد جاء في علم الأجنة[3]:

الماء الدافق: يخرج ماء الرجل متدفقا، ويشير إلى هذا التدفق قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [4].

ومما يلفت النظر أن القرآن يسند التدفق للماء نفسه، مما يشير إلى أن للماء قوة دفق ذاتية.

وقد أثبت العلم في العصر الحديث أن المنويات التي يحتويها ماء الرجل لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة، وهذا شرط للإخصاب، وقد أثبت العلم أيضا أن ماء المرأة الذي يحمل البييضة يخرج متدفقا إلى قناة الرحم (فالوب) وأن البييضة تكون حيوية متدفقة متحركة حتى يتم الإخصاب.

(١) تفسير المراغي ١١٤/١١٣/٣٠.
(٢) خلق الإنسان ص ١٢١.
(٣) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، ص٣٣/٣٢. ترجمة د/ عبد المجيد الزنداني، مصطفى أحمد عبد الباسط عن : مارشال جونسون المجلس الأعلى العالمي للمساجد. هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. بمقر رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.
(٤) الآيات ٥، ٦، ٧ من سورة الطارق.

المطلب الثالث:
النطفة الأمشاج : (نطفة الزيجوت)

النطفة الأمشاج في اللغة:

المَشْج والمِشْج– بفتح الميم وكسرها مع سكون الشين فيهما– والمشج– بفتح الميم والشين– والمَشِيج– بفتح الميم وكسر الشين– كل لونَيْن اختلطا، وقيل: هو كل شيئين مختلطين، والجمع أمشاج، ومَشَجْتُ بينهما أي خلطت، قال ابن سيده: والمشيج اختلاط ماء الرجل والمرأة، وبمثله قال الفراء، قال ابن السكيت: الأمشاج الأخلاط، يريد بالأخلاط: (النطفة) لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة، ويقال: نطفة أمشاج لماء الرجل يختلط بماء المرأة(١).

النطفة الأمشاج في الكتاب والسنة:

أولاً: الكتاب الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾(٢).

وجه الدلالة من الآية:

قال الرازي: الأكثرون على أنه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة كقوله تعالى: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾(٣) قال ابن عباس: هو اختلاط ماء الرجل وهو أبيض غليظ، وماء المرأة وهو أصفر رقيق، فيختلطان ويخلق منهما الولد، فما

(١) لسان العرب، المجلد الثالث، ص٤٨٧تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، والصحاح، ٣٤١/١، والمعجم الوسيط ٨٧٠/٢.
(٢) الآيتان ١، ٢ من سورة الإنسان.
(٣) الآية ٧ من سورة الطارق.

كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة[1].

هذا وقد جاء في كتاب خلق الإنسان[2]: ... عند الجماع يختلط مني الرجل بماء المرأة، ويتقلص الرحم تقلصات عديدة تدفع بهذا الماء المختلط من مني الرجل وماء المرأة إلى الرحم ومنه إلى قناة الرحم حيث يلتقي الحيوان المنوي الذي اختارته يد القدرة الالهية بالبويضة ليلقحها.

والغريب أن الإمام الفخر الرازي قد وصف تقلصات الرحم هذه بأسلوبه الجميل قائلاً:

(إن الرحم إذا كان انقطع عنه الطمث قريبا... وكان خاليا من الفضول المانعة له عن فعله، اشتد شوقه إلى المني حتى إن الإنسان يحس في وقت الجماع كأن الرحم يجذب إحليله إلى داخله كما تجذب المحجمة الدم).

وقد ذكر هذا ابن سينا في قانونه منذ ألف عام تقريبا حيث قال:

والرحم تغلظ وتثخن كأنها تسمن وذلك في وقت الطمث... وإذا جومعت المرأة تدافعت الرحم إلى فم الفرج كأنها تبرز شوقاً إلى جذب المني بالطبع.

ويقول– ابن سينا– في موضع آخر: فإن الرحم عند الجذب يعرض لها حركات متتابعة كمن يلتقم لقمة بعد لقمة، وكما تتنفس السمكة تنفساً بعد تنفس، لأنها أيضا تدفع المني على قعر الرحم، دفعات كل دفعة يكون معها جذبة المني من خارج[3].

---

(١) التفسير الكبير ٢٣٦/٣٠ والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢١٦، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص٤٣ طبعة دار الفكر، وتحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص ١٧٣ الطبعة الأولى.

(٢) للأستاذ الدكتور/ محمد علي البار، ص ١٢٢–١٢٣ عزوا إلى المباحث المشرقية للرازي ٢٤٣/٢.

(٣) القانون في الطب لابن سينا ٥٥٧/٢–٥٦٠.

ثانياً: السنة النبوية المطهرة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودي أن هذا يزعم أنه نبي فقال: لا سألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ فقال: من كل يخلق، من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم، فقام اليهودي، فقال: هكذا كان يقول من قبلك) (١).

قال ابن حجر(٢): إن ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع، وأراد الله أن يخلق من ذلك جنيناً هيأ أسباب ذلك، لأن في الرحم قوتين: قوة انبساط عند ورود مني الرجل حتى ينتشر في جسد المرأة، وقوة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسا، ومع كون المني ثقيلاً بطبعه.

وفي مني الرجل قوة الفعل، وفي مني المرأة قوة الانفعال.

وقال ابن القيم(٣): ومني الرجل وحده لا يتولد منه الولد، ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى.

وقال أيضاً: (٤) إن الأعضاء والأجزاء والصورة تكونت من مجموع الماءين، وأنهما امتزجا واختلطا وصارا ماء واحداً، وهذا هو الصواب.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند١٥/٤٦٥ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، والفتح الرباني للبنا الشهير بالساعاتي، ٢٠، ٣ الطبعة الأولى.

(٢) فتح الباري ١١/٤٧٩-٤٨٠.

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص ٢١١.

(٤) التبيان ص ٢٢٢.

النطفة الأمشاج في علم الأجنة: (نطفة الزيجوت) أو (مرحلة التوتة) [١]:

لقد صور الأستاذ الدكتور/ محمد علي البار[٢] ذلك أبلغ تصوير وأروعه، وأظهر لنا حكمة الخالق سبحانه فيما أخبرنا به في الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، من قديم وأيده العلم الحديث بعد هذه القرون الطوال.

تخرج البويضة من مبيض المرأة مرة واحدة في الشهر، وعليها التاج المشع كأنها عروس تتهادى وتبعث شيئا من أريجها لتلك الحيوانات المنوية الضاربة اذيالها بقوة، والسابحة عبر الإفرازات، وتقطع المفاوز والمخاطر لعلها تحظى ولو بنظرة إلى هذه العروس الفتانة الجميلة.

وتسير تلك الحيوانات المنوية (نطفة الرجل) باحثة عن البويضة (نطفة المرأة) لا تدري أين هي، عن يمين أو يسار، فتخترق مجموعة منها القناة الرحمية اليمنى وتسير مجموعة أخرى عبر القناة الرحمية اليسرى (تدعى قناة فالوب) وهي تمني النفس بلقاء المحبوب، فيهلك من يهلك في تلك المفاوز، وعبر تلك المخاطر، وتشاء القدرة الالهية المبدعة أن يقترب من البويضة مئات الحيوانات المنوية بينما تحتوي الدفقة الواحدة من المني على أكثر من مائتي مليون حيوان منوي، تهلك معظمها قبل الوصول إلى البويضة وتختار القدرة الالهية المبدعة، واحداً من ملايين الحيوانات المنوية لتوصله سالما إلى البويضة فتفتح له كوة في جدارها حتى يلج من خلال ذلك الجدار المصمت المحاط بالتاج المشع، فإذا ما ولج أو صدت الباب وأحكمت الرتاج[٣]، وأضافت إلى الجدار جداراً آخر حتى

---

(١) رحلة الإيمان في جسم الإنسان، د/ حامد أحمد حامد ص ٥١-٥٣ الطبعة الأولى وخلق الإنسان ص ٢٠١.

(٢) في مؤلفه خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص ١٩٥.

(٣) الرَّتَاج: بفتح الراء المشددة مع فتح التاء- الإغلاق بشدة، رَتج الباب رَتجاً: أغلقه كأرتجه، أوثق إغلاقه، أو أغلقه اغلاقا شديدا وثيقاً، وفي التهذيب :يقال للحامل مرتج، لأنها إذا عقدت على ماء الفحل اسند فم الرحم فلم يدخله شيء فكأنها أغلقته على مائه، تاج العروس للزبيدي ٤٧/٢-٤٨ والمعجم الوسيط ٣٢٧/١.

تمنع عنها أي راغب، وتصد بابها دون كل لامس حالما يتم التخصيب وتتكون النطفة الأمشاج من الحيوان المنوي والبويضة، تصنع يد القدرة الإلهية للبويضة الملحقة جداراً سميكاً مصمتا لا يمكن لأي حيوان منوي آخر اختراقه، كما أنها تخلع عنها تاجها المشع الذي كان يغري الحيوانات المنوية بالاقتراب منها، ومنذ تلك اللحظة تبدأ بالعمل الجاد، وتبدأ بالانشطار: الخلية تصبح خليتان، والخليتان أربع وهكذا حتى تتكون مئات الخلايا، وتتحرك البويضة الملقحة أو النطفة الأمشاج- حركة بطيئة فهي تنتقل من الثلث الوحشي لقناة الرحم (قناة فالوب) حيث يتم التلقيح وتتجه عبر القناة الرحمية حتى تقترب من الرحم، وفي خلال خمسة أيام أو أسبوع على الأكثر تكون قد وصلت إلى الرحم، وهناك تنظر أين تتوسد وتنغرز وتوجهها يد العناية الالهية إلى أن خير مكان لها هو النصف العلوي من الرحم، وخاصة جداره الخلفي، فتتعلق به، وقد جعل مليئا بالأوعية الدموية حتى يغذيها وينميها.

وبعد أن تنغرز تكون قد تحولت من نطفة الأمشاج إلى علقة، وهي بداية مرحلة جديدة في حياة الجنين(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾(٢).

(١) خلق الإنسان ص ١٩٥-٢٠٠ الطبعة الرابعة، وانظر مع الطب في القرآن الكريم ص٧٦-٧٩، وانظر الطب محراب الإيمان ٥٣/٢ وانظر رحلة الإيمان في جسم الإنسان ص ٥١ وما بعدها.

(٢) الآيتان ١٣-١٤ من سورة نوح.

المطلب الرابع
تعريف الجنين في اللغة وعند كل من الفقهاء والأطباء

أولاً: تعريف الجنين في اللغة:

الجنين: من جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً: ستره وكل شيء سُتِرَ عنك فقد جُنَّ عنك، وَجَّنةُ الليل يَجُنُّه جَنّا وجنوناً، وجَنَّ عليه يجن بالضم جنونا، وأجَنَّة: سَتَرَه وبه سُمِّيَ الجِنُّ لا ستتارهم واختفائهم عن الأبصار ومنه سُمِّيَ الجنين لاستتاره في بطن أمه.

قال الزجاج في قوله تعالى: (فلما جن عليه الليل رأي كوكبا)[1] يقال: جَنَّ عليه الليل وأجنه الليل إذا أظلم حتى يستره، بظلمته، ويقال: جَنّه الليل، والاختيار جن عليه الليل وأجنه الليل، قال ذلك أبو اسحق.

واسْتَجَنَّ فلانٌ إذا استتر بشيء، والجنن بالفتح هو القبر لستره الميت، والجنن أيضا الكفن لذلك وأَجَنَّه أي كَفَّنه، قال أبو عبيدة: جَنَنْتُهُ في القبر وأجْنَنْتُهُ أي واريته، وقد أَجَنَّه إذا قَبَرَهُ، والجنين: المقبور، وسُمِّيَ القلبُ جَنَاناً لأن الصدر أجنة أي ستره.

والجنين: الولد ما دام في بطن أمه لاستتاره فيه، وجمعه أَجِنَّة، وأجنن بإظهار التضعيف.

وقد جَنَّ الجنين في الرحم يَجِنُّ جَنًّا، وأَجَنَّتهُ الحامل.

والمِجَنُّ: الوشاح والترس لأنه يواري حامله، أي يستره، والميم زائدة[2].

ثانياً: تعريف الجنين في الاصطلاح:

عرف ابن عابدين الجنين فقال: الجنين هو الولد ما دام في الرحم[3].

---

(١) من الآية ٧٦ من سورة الأنعام.

(٢) لسان العرب المجلد الأول ص ٥١٥/٥١٦ تقديم الشيخ العلايلي، والصحاح للجوهري ٢٠٩٤/٥ الطبعة الثالثة، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٢١٠/٤ دار الفكر ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) حاشية رد المحتار على الدر المختار، ٥٨٧/٦ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م دار الفكر. =

وعرفه شمس الأئمة السرخسي في أصوله فقال: (الجنين ما دام مجتنا في البطن)[١].

وبهذا يتضح أن تعريف الجنين عند الفقهاء : هو بعينه تعريفه في اللغة، وهو أنه يسمى جنينا ما دام في بطن أمه، لم يخرج إلى الدنيا، وبعد ولادته وخروجه من سِتْرِهِ يسمى طفلاً[٢].

ثالثاً: تعريف الجنين عند الأطباء:

أما الجنين عند الأطباء فهو: ثمرة الحمل في الرحم حتى نهاية الأسبوع الثامن[٣] (وبعده يدعي الحميل)[٤].

وقال الدكتور / محمد علي البار : (مرحلة الجنين: من الأسبوع الثاني إلى الأسبوع الثامن).

تسمى هذه الفترة في علم الأجنة المرحلة الجنينية، للتفريق بينها وبين المرحلة التي تليها وهي من الأسبوع التاسع إلى الولادة، والتي تعرف باسم مرحلة الحميل)[٥].

= وتعريف ابن عابدين للجنين هو نص تعريف منلا مسكين، انظر: معين الدين الهروي المعروف بمنلا مسكين على كنز الدقائق للنسفي ص ٣١٢.

(١) ذكره عنه قاضي زاده في تكملة فتح القدير ٢٣٢/٩ دار إحياء التراث العربي.

(٢) الطفل: الولد من الولادة حتى البلوغ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، الصحاح للجوهري، ١٧٥١/٥ الطبعة الثالثة والمعجم الوسيط ٥٦٠/٢ الطبعة الثانية.

(٣) المعجم الوسيط ١٤٦/١ الطبعة الثالثة، (والجنين) في (علم الأحياء) النبات الأول في الحبة، والحيّ من مبدأ انقسام اللاقحة، حتى يبرز إلى الخارج – جمعه – أجنة وأجنن.

(٤) المرجع السابق، المعجم الوسيط ١٤٦/١.

(٥) مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، بحث للدكتور/ محمد علي البار، تحت عنوان : (الجنين المشوه: أسبابه وتشخيصه وأحكامه) ص ٢٩٧–٢٩٨ العدد الرابع، السنة الثانية ١٤١٠هـ–١٩٨٩م.

وانظر : رجلة الإيمان في جسم الإنسان د/ حامد أحمد حامد ص ٧٠.

المطلب الخامس
القرار المكين (الرحم)

نقف مع هذه الآية الكريمة وقفة تأمل، لنعرف ما هو القرار المكين الوارد بها في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾. عند المفسرين، ثم عند الأطباء.

الرحم عند المفسرين:

قال الرازي: (... فصار الرحم قراراً مكينا لهذه النطفة، والمراد بالقرار موضع القرار، وهو المستقر فسماه بالمصدر، ثم وصف الرحم بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك: طريق سائر أو لمكانتها في نفسها لأنها تمكنت من حيث هي وأحرزت) [1].

رأي الأطباء في القرار المكين:

لقد سمي الله تعالى الرحم بالقرار المكين الذي تنمو فيه النطفة الأمشاج حتى تصير جنينا، ثم تخرج طفلا كامل الخلقة سوى التكوين، ولذلك فلابد أن يكون الرحم محروسا ومهيأ لأن يكون القرار المكين، كما أنه الفراش الوثير لتلك النطفة فالعلقة[2].

(١) التفسير الكبير ٨٤/٢٣ الطبعة الثالثة، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٤٠/٣ طبعة الحلبي، وانظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢١١ فصل ١٠٠.

(٢) خلق الإنسان ص٥٥ ورحلة الإيمان في جسم الإنسان ص ٥٣ وما بعدها، الطبعة الأولى.

تعريف الرحم [١] ومكانه عند الأطباء[٢]:

الرحم عضو كمثري الشكل، طوله حوالي ثلاث بوصات، وعرضه بوصتان، وسمكه بوصة واحدة، وذلك قبيل الحمل، ويقع فوق المهبل[٣] مباشرة، حيث يتصل به بواسطة فتحة صغيرة، ويسمى الجزء السفلي من الرحم عنق الرحم، وجدران الرحم عضلية سميكة، ويتفرع من ركنيها العلويين[٤] بوقا [٥] فالوب، وهما أنبوبتان رقيقتان طول كل منهما حوالي ثلاث بوصات، وقطرها من

(١) الرحم في اللغة: الرَّحم والرَّحْم : موضع تكوين الجنين ووعاؤه في البطن، والقرابة أو أسبابها (يذكر ويؤنث) والجمع أرحام، وذوو الأرحام: الأقارب الذين ليسوا من العصبة ولا من ذوي الفروض كبنات الإخوة وبنات الأعمام، والرَّحَم– بفتح الراء المشددة مع فتح الحاء– داء يأخذ بالأنثى في الرحم فلا تقبل اللقاح، الصحاح للجوهري، ١٩٢٩/٥ الطبعة الثالثة، والمعجم الوسيط ٣٣٥/١الطبعة الثانية.

(٢) العناية بالحامل. ترجمة د/ علي إبراهيم ص١٦، ١٨. وخلق الإنسان ص٩٧.

(٣) المهبل : شق ضيق يصل ما بين فتحة الفرج من أسفل وعنق الرحم من أعلى، وجداره الأمامي أقصر من جداره الخلفي إذ طول الجدار الأمامي سبعة سنتيمترات، بينما طول الجدار الخلفي تسعة سنتميترات، وبما أن جدار المهبل مكون من عضلات انتصابية، فإن الجدارين يكونان ملتصقين إلا عند الجماع، أو الولادة، ويظل عنق الرحم في أعلى المهبل، ويحاذي المهبل من أمام قناة مجرى البول، وأسفل المثانة، أما من خلف فيوجد المستقيم والقناة الشرجية، ومن الملاحظ أن قناة مجرى البول في الأنثى مستقلة عن جهازها التناسلي، فهي منفصلة عنه، ولها فتحة (صماخ) في أعلى الفرج من أمام وهي تحت البظر، ولا تكاد ترى لشدة صغرها، أما في الرجل فإن قناة مجرى البول هي في نفس جهازه التناسلي، فهي تمر في الإحليل (القضيب) حتى تنتهي إلى الفتحة (الصماغ) على حشفة القضيب، خلق الإنسان ص ٤٤ والعناية بالحامل، ص ١٢٨.

(٤) البوقان: القناتان اللتان تصلان الرحم بالمبيض، وتسميان أيضا قناتا فالوب، العناية بالحال ص ١٢٦.

(٥) فالوب: نسبة إلى عالم التشريح الإيطالي الذي اكتشفها، بحث في التلقيح الصناعي للدكتور/ مصطفى أحمد الزرقا، ص ١٠ وخلق الإنسان ص ٤٤.

ربع إلى ثمن بوصة، ويفتح الجزء الخارجي (الوحشي) من كل بوق بالقرب من المبيضين[١].

وجاء في كتاب خلق الإنسان[٢] : وأول شيء نلاحظه هو أن الرحم موضوع في الحوض [٣]الحقيقي لهيكل المرأة الذي يحمي الرحم من كل عدوان خارجي، ثم نجد الأربطة والصفاقات المختلفة التي تمسك بالرحم، ومع ذلك تسمح له بالحركة والنمو حتى أن حجمه ليتضاعف أكثر من ثلاثة آلاف مرة في نهاية الحمل، إذ أن حجم رحم الأنثى البالغة لا يتسع لأكثر من اثنين مليليتر ونصف، بينما يتسع حجم الرحم ذاته في نهاية الحمل لسبعة آلاف ميليليتر، ومع ذلك يبقى الرحم في مكانه والأربطة ممسكة به[٤].

---

(١) المبيضان : بحجم وشكل اللوزة قبل تقشيرها ومكانهما على جانبي الرحم، وهما اللذان تخرج منهما الخلايا التناسلية للأنثى (البويضة) ويتصل المهبل بالرحم والرحم بالبوقين.والمبيض طوله نحو ثلاثة سنتيمترات وعرضه نصف طوله، وسمكه نصف عرضه، والمبيضان عند المرأة يقابلان الخصيتين عند الرجل، خلق الإنسان ص ٣٦، والعناية بالحامل ص ١٦-١٢٨.

وقد ذكر هذا ابن سينا في قانونه فقد قال: والبيضتان للنساء كما للرجال لكنهما في الرجال كبيرتان بارزتان متطاولتان إلى استداره، وفي النساء صغيرتان مستديرتان إلى شدة تفرطح، باطنتان في الفرج موضوعتان عن جنبيه في كل جانب من قعره واحدة، متمايزتان يختص بكل واحدة منهما غشاء، لا يجمعهما كيس واحد، القانون في الطب ٢/٥٥٥/٥٥٦.

(٢) للدكتور/ محمد علي البار ص ٥٥.

(٣) الحوض : هو الدائرة العظمية التي تحمل الجزع والتي تتصل بها عظام الرجلين. العناية بالحامل ص١٢٦ ودليل المرأة الطبي ص١٣٢.

(٤) خلق الإنسان ض ٥٥، وانظر مع الطب في القرآن الكريم للدكتورين/ عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ص ٨٨، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، وانظر الطب محراب الإيمان للدكتور/ خالص جلبي، ٢/٢٤١، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

سبحانه ربي: قال في محكم التبيان: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١).

هذا : وقد ذكر الطبيب القديم الشيخ الرئيس ابن سينا ما ذكره الطب الحديث قبل ألف عام حيث قال تحت عنوان : (فصل في تشريح الرحم).

نقول إن آلة التوليد التي للإناث هي الرحم، وهي في أصل الخلقة، مشاكلة لآله التوليد التي للذكران، وهي الذكر وما معه، لكن إحداهما تامة متوجهة إلى خارج، والأخرى ناقصة محتبسه في الباطن: فكأنها– الرحم– مقلوب آلة الذكران، وكأن الصفن صفاق الرحم، وكأن القضيب عنق الرحم، والبيضتان للنساء كما للرجال، لكنهما في الرجال كبيرتان بارزتان متطاولتان إلى استدارة، وفي النساء صغيرتان مستديرتان إلى شدة تفرطح باطنتان في الفرج، موضوعتان عن جنبيه في كل جانب من قعره واحدة، متمايزتان يختص بكل واحدة منهما غشاء لا يجمعهما كيس واحد.

والرحم تغلظ وتثخن كأنها تسمن، وذلك في وقت الطمث، وإذا جومعت المرأة تدافعت الرحم إلى فم الفرج كأنها تبرز شوقا إلى جذب المني بالطبع، ورقبة الرحم عضلية اللحم كلها غضروفية كأنها غصن على غصن، وفيها مجرى محاذية لفم الفرج الخارج، ومنها تبلع المني وتقذف الطمث، وتلد الجنين وتكون في حال العلوق في غاية الضيق لا يكاد يدخلها طرف ميل، ثم تتسع بإذن الله تعالى فيخرج منها الجنين(٢).

---

(١) الآيات ٢١–٢٤ من سورة المرسلات.

(٢) القانون في الطب لابن سينا ٢/٥٥٥–٥٥٧.

هذا: وقد وصف الرحم أيضا داود الأنطاكي بأسلوبه الخاص حيث قال: الرحم عضو عصباني إلى الصلابة، طوله اثنا عشر أصبعا بأصبع صاحبه، واصل إلى المعى، وهو تحت المثانة فوق المستقيم، بين الحالبين، له في الإنسان قرنان ببطنين لأجل التوأم، كل بطن ينتهي بمجرى في جانب السرة إلى الثدي لأجل تردد الدم بين اللبن وغذاء الجنين والحيص، وفي غير الإنسان بطونه عدد حلمات ثديه لحمها الكثير غالبا كالكلاب، وهو =

هذا: وقد انتهى الكلام عن النطفة بقدر ما تيسر التي هي الأصل في تكوين الجنين وخلق الإنسان، وقبل أن ننتقل للكلام عن العلقة نذكر هذه الأبيات[1] عن النطفة دليلاً على مدى قدرة الخالق سبحانه.

كنت يوما واحدا من ألف آلاف بنطفة
دفعتنا نطفة المـا ء إلى موطن عفه
فتسابقنا ولا نـد ري لعذراء مخفة
هبطت من برجها العالي إلى دهليز غرفة
ترقب الإلف الذي يفتض يوم العرس إلفه
فإذا بي أسبق الجمع إلى الإلف بطرفة
عندها الإلف احتواني واتحدنا دون كلفة

=في الصغار ضيق صغير، وإلى هذا القدر يعو بعد انقطاع الحيض، وبعد انفضاض البكارة يكون متوسطا، فإذا اشتغل بالحمل، اتسع بقدر نمو ما فيه، وقد وثق إلى الصلب بأربطة يقدر بها على التمدد عند خروج الجنين وآخره، ينتهي إلى الفرج وداخل الفرج ثقبان أعلاهما ينتهي إلى المثانة ينصب منه البول، وأسفلهما يفضي إلى الرحم، يخرج منه الدم وفيه مسلك القضيب، النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود الأنطاكي بها مش تذكرته، المسماة تذكرة أولي الألباب، والجامع للعجب العجاب، ١/ ١٤١-١٤٢ طبعة بيروت المكتبة الثقافية.

(١) للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة، الميداني في كتابه براهين وأدلة إيمانية ص ٤٩٣/٤٩٤ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م دار القلم، دمشق.

والتقـــى الشـــطران منـــا وأتـــم النصـــف نصـــفه

وعبرنـــــاه مضـــــيقا بعنـــــاق وبلهفـــــة

فـــي ثمـــان مـــن ليـــال رشـــفة مـــن بعـــد رشـــفة

ودخلنـــا مخـــدع الـــزو جـــين نستنشـــق عرفـــه

وانشـــطرنا وانقســـمنا وتناميـــنا بخفـــة

رحلـــة مـــرت صـــعودا شـــرفة مـــن بعـــد شـــرفة

كـــل طـــور قـــد مررنـــا فيـــه لا يخـــرم وصـــفه

فـــإذا بـــي كائنـــا حيـــا بـــبطن أترفـــه

المبحث الثالث

قوله تعالي: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ ﴿العلقة﴾

وفيه مطلبان

المطلب الأول في: العلقة في اللغة وعند المفسرين.

المطلب الثاني في: العلقة في علم الأجنة

المطلب الأول:
العلقة في اللغة وعند المفسرين

العلقة هي المرحلة التي تلي تكوين النطفة الأمشاج، وتبدأ منذ تعلق النطفة الأمشاج، (مرحلة التوتة) أو (نطفة الزيجوت) بالرحم، وتنتهي عند ظهور الكتل البدنية التي تعتبر بداية المضغة(١).

العلقة في اللغة:

العلقة في اللغة من : عَلِقَ- بفتح العين وكسر اللام وفتح القاف- بالشيء عَلَقَا- بفتح الثلاثة- وعَلِقَة: نَشِب فيه:

جاء في لسان العرب(٢): الَعَلقُ: بفتح العين واللام- الدم، وقيل هو: الدم الجامد الغليظ، وقيل هو ما اشتدت حُمْرَتُه، والقطعة منه عَلَقَه، ومنه قيل لهذه الدابة التي تكون في الماء علقة لأنها حمراء كالدم، وكل دم غليظ علق، والَعَلق- بفتح العين واللام- دود أسود في الماء معروف، الواحدة علقة.

العلقة عند المفسرين:

يقول القرطبي: (العلقة) هي الدم الجامد، والعلق: الدم العبيط: أي الطري، وقيل : الشديد الحمرة(٣).

ويقول ابن كثير: (ثم خلقنا النطفة علقة.... فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة، قال عكرمة : وهي دم) (٤).

---

(١) خلق الإنسان ص ٢٠١ وانظر مع الطب في القرآن الكريم ص ٨٠.

(٢) لابن منظور ٣٠٧٥/٤ طبعة دار المعارف والصحاح للجوهري ١٥٢٩/٤ الطبعة الثالثة، والمعجم الوسيط ٦٢٢/٢ الطبعة الثانية.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٦/١٢ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م دار الكتاب العربي، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص ٤٢، وانظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢٢٨ وانظر تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص ١٧٣ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤)تفسير القرآن العظيم، ٢٤٠/٣ طبعة الحلبي.

المطلب الثاني: العلقة في علم الأجنة

تقوم البويضة الملقحة (النطفة الأمشاج) أو (نطفة الزيجوت) أو (مرحلة التوتة) بالانقسام المتتالي:

فتصبح الخلية أربع خلايا في ٤٠ ساعة، ثم تكون ٣٢ خلية في ٨٠ ساعة، ولا تمر خمسة أيام إلا وقد صارت مثل الكرة[١] تماماً، وتدعى عندئذ (التوتة) ثم يمتلئ جوف هذه الكرة بسائل وتدعى عندئذ (الجرثومية)- وجرثومة الشيء أصله- وفى تلك الأثناء تتميز خلايا الكرة الجرثومية إلى طبقتين:

١- خارجية ٢ داخلية[٢]

هذا: وقد قرأت تحقيقا في هذا الشأن- تكوين العلقة- أثرت أن أذكره هنا لأهميته وروعته وجلال إعجازه.

ما إن يتم[٣] التحام النطفة بالبيضة، حتى تباشر البييضة الملقحة بالانقسام إلى خليتين، فأربع فثمان وهكذا،

دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البييضة الملقحة، وتتم عملية الانقسام هذه والبييضة في طريقها إلى الرحم تدفعها حركة أهداب البوق، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق حتى إذا وصلت إلى الرحم كانت كتلة من الخلايا الصغيرة الضلعة، يطلق عليها اسم التوتة، حيث تشبه ثمرة التوت، بتقسيمها الخارجي، ثم لا تلبث الخلايا السطحية لهذه الكتلة أن تفترق عن الخلايا الداخلية وتصبح بشكل خلايا اسطوانية.

---

(١) يقول ابن القيم في التبيان ص ٢١١، فإذا اشتمل الرحم على المني، ولم يقذف به إلى خارج استدار على نفسه وصار كالكرة، وأخذ في الشدة إلى تمام ستة أيام، يقول الدكتور البار: وهو –أي كلام ابن القيم- ما يتفق مع الطب الحديث تماما، خلق الإنسان ص ٢٠٤.

(٢) خلق الإنسان ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) مع الطب في القرآن الكريم، ص ٨٠-٨١ ورحلة الإيمان في جسم الإنسان د / حامد أحمد حامد ص ٥٨.

ومهمة هذه الخلايا تأمين الغذاء وتسمى بالخلايا المغذية، وبذلك يصبح محصول الحمل قابلاً للتعشيش فتغرس الخلايا المغذية، استطالاتها في مخاطية الرحم، وتستمر عملية العلوق مدة (أربع وعشرين ساعة) وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة.

وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة– العلقة– إلا من شاهد تلك الكتلة الخلوية، وهي عالقة علوقا– وليس التصاقا– بواسطة تلك الاستطالات التي غرستها في مخاطية الرحم.

وما أجدرنا[1] هنا أن نعرَّج على هذه الآيات التي تذكر الإنسان بتلك اللحظات التي كان فيها مجموعة خلوية عالقة بجدار رحم الأم، تستمد منها الدفء والغذاء والسكن، فيقول في أول سورة نزلت من القرآن الكريم وأسماها الحق تبارك وتعالى سورة (العلق) (إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق)[2].

سبحانه ربي قال في محكم التنزيل : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء)[3].

(١) الدكتوران: عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز، في مؤلفيهما: مع الطب في القرآن الكريم، ص٨١.

(٢) الآيتان ١، ٢ من سورة العلق.

(٣) من الآية ٦ من سورة آل عمران.

المبحث الرابع

قوله تعالي: (فخلقنا العلقة مضغة)

(المضغة: المُخَلَّقة وغيرُ المُخَلَّقة)

وفيه مطلبان

المطلب الأول في: المضغة في اللغة وعند المفسرين

المطلب الثاني في: المضغة في علم الأجنة

المطلب الأول:
المضغة في اللغة وعند المفسرين

المضغة في اللغة :

المضغة في اللغة : القطعة من اللحم لمكان المضغ.

جاء في لسان العرب[١] : المضغة من اللحم قدر ما يلقي الإنسان في فمه.

وفي التهذيب : إذا صارت العلقة التي خلق منها الإنسان لحمة فهي مضغة.

المضغة عند المفسرين :

يقول القرطبي : " المضغة " هي لحمة قليلة قدر ما يمضغ[٢].

ويقول ابن كثير : " المضغة قطعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط"[٣].

المضغة المخلقة وغير المخلقة عند المفسرين :

يقول ابن كثير : ... تصير العلقة مضغة. والمضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط. ثم يشرع في التشكيل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان، وصدر وبطن، وفخذان ورجلان، وسائر الأعضاء، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط، ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[٤].

---

(١) لابن منظور ٤٢٢٢/٦ طبعة دار المعارف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٢/طبعة ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. وانظر تحفه المودود بأحكام المولود، ص١٧٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٠/٣ طبعة الحلبي.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٠٦/٣ طبعة الحلبي.

ويقول القرطبي : " مخلقة وغير مخلقة " " مخلقة " تامة الخلق، " وغير مخلقة " السقط. وقيل : " مخلقة " قد بدأ خلقها، " وغير مخلقة " لم تصور بعد. وقيل : " المخلقة " التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، " وغير المخلقة " التي لم يخلق فيها شيء[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/٤٤٠١ طبعة الشعب.

المطلب الثاني
المضغة في علم الأجنة

بعد عملية العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الثالث بتشكل اللوحة المضغية

واللوحة المضغية عبارة عن قرص مؤلف في البدء من وريقتين : خارجية، وداخلية، ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة، وحتى نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز، ويمكن أن تسمى هذه المرحلة (بالمضغة غير المخلقة)، ثم يمر الحمل في أدق مراحله وأصعبها حيث يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداء من الأسبوع الخامس، وتسمى بعملة التمايز، أو كما سماها القرآن الكريم (التخلق) فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم، أو أعضائه، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة، وهي تنمو وتتطور ليكون الإنسان في أحسن تقويم، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريباً، ويكون طول الجنين عندها (١٠) عشرة سنتمترات، ويزن حوالي (٥٥) غرام، ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة (المضغة المخلقة) فطور المضغة يمر إذن بمرحلتين :

المرحلة الأولى: حيث لم يتشكل فيها أي عضو أو جهاز، وأسميناها مرحلة (المضغة غير المخلقة).

المرحلة الثانية: مرحلة التشكيل والتمايز على ما سبق إيضاحه، وتسمى مرحلة (المضغة المخلقة)[1].

وهكذا يتضح جليا إعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[1].

---

(١)مع الطب في القرآن الكريم للدكتورين / عبد الحميد دياب واحمد قرقوز ص ٨٢/٨١ بتصرف. وانظر : خلق الإنسان ص٢٤٣، وانظر العناية بالحامل ترجمة د/ علي إبراهيم ص٢٠/١٩.

ويكون وصف المضغة، أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفتها هو أصدق وصف وأدقه لهذه المرحلة[٢]. سبحانه ربي : ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [٣].

يقول الإمام ابن القيم[٤] : " وكيف جعل سبحانه النطفة – وهي بيضاء مشرقة– علقة حمراء، ثم جعلها مضغة، ثم قسم أجزاء المضغة إلى العظام، والأعصاب والعروق والأوتار، واللحم، في داخل الرحم، في الظلمات الثلاث. ولو كشف لك الغطاء – (وقد كشفه العلم اليوم)[٥] – لرأيت التخطيط والتصوير يظهر في تلك النطفة شيئاً بعد شيء، من غير أن ترى المصور ولا آلته ولا قلمه، فهل رأيت مصوراً لا تحس آلته ولا تلاقيها " ؟.

هذا : وقد ذكر هذا الطب القديم أيضاً، وإن كان باختصار وإجمال حسب أسلوب القديم ومعطيات العلم عندهم في زمانهم حيث لا مجاهر ولا مخابر، ولا أجهزة ولا آلات.

يقول ابن سينا في قانونه :

أما مدة الرغوة فستة أيام أو سبعة... وابتداء الخطوط والنقط بعد ثلاثة أيام أخرى، فتكون تسعة أيام من الابتداء، وقد يتقدم يوماً أو يتأخر يوماً، ثم بعد ستة أيام أخرى يكون الخامس عشر من العلوق. تنفذ الدموية في الجميع فتصير علقة، وربما تقدم يوماً أو يومين، وبعد ذلك باثني عشر يوماً تصير الرطوبة لحما، وقد تميزت قطع لحم، وتميزت الأعضاء الثلاثة تميزاً ظاهراً، وقد تنحى بعضها عن مماسة بعض... وربما تأخر أو تقدم بيومين أو ثلاثة، ثم بعد تسعة

---

(١) من الآية ٥ من سورة الحج.

(٢) خلق الإنسان ص٣٦٩، وانظر رحلة الإيمان في جسم الإنسان د/ حامد أحمد حامد ص٥٩، وما بعدها.

(٣) من الآية ٥٠ من سورة طه.

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص٢٥٥ دار الفكر طبعة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

(٥) خلق الإنسان للدكتور / البار ص٢٧٣.

أيام تنفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع والبطن تميزاً يحس في بعضهم، ويخفي في بعض حتى يحس بعد ذلك بأربعة أيام تكملة الأربعين يوماً، ويتأخر في النادر إلى خمسة وأربعين يوماً، والأقل في ذلك ثلاثون يوماً[1].

(١) القانون في الطب لابن سينا ٢/٥٥٨.

المبحث الخامس

قوله تعالى : " ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾(١) (تكوين العظام).

جاء في تفسير القرآن العظيم[٢] في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾يعنى شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها، " فكسونا العظام لحماً " أي جعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه.

وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أُسَيْدٍ الغفاري أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها "[٣].

يبدأ نمو الأعضاء في مرحلة مبكرة جداً من عمر الجنين، يبدأ ذلك بالتخطيط لها، ووضع مواضع الفصل والوصل، ثم تبنى الأعضاء شيئاً فشيئاً.

يقول ابن القيم[٤] : " وهنا تصويران : أحدهما تصوير خفى لا يظهر، وهو تصوير تقديري، كما تصور حين تفصل الثوب، أو تنجر الباب، مواضع القطع والتفصيل، فيعلَّم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل، وكذلك كل من يضع صورة في مادة، لا سيما مثل هذه الصورة، ينشئ فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئا بعد شيء لا وهلة واحدة " .

ففي مرحلة[٥] العلقة يظهر الحبل الظهري، وهو المحور الهيكلي، ويعرف بالعضو سابق العمود الفقري، إذ أنه يسبق ظهور العمود الفقري.

---

(١)من الآية ١٤ من سورة المؤمنون.

(٢)لابن كثير ٣/٢٤٠.

(٣)رواه مسلم واللفظ له. صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٤٩٩ طبعة الشعب. وأورده ابن القيم في التبيان ص٢١٧.

(٤)التبيان في أقسام القرآن ص٢١٨.

(٥)خلق الإنسان ص٢٧٨.

وأما تكون العمود الفقري فيمر بثلاث مراحل نذكر منها ما يخص مرحلة الجنين، وهي المرحلة الأولى :

المرحلة الأولى في تكوين عظام الجنين وتعرف بالمرحلة الغشائية: (النسيج سابق العظام) وتظهر في الأسبوع الخامس والأسبوع السادس الرحمي، ثم تليها المرحلة الغضروفية، وتبدأ في أواخر الأسبوع السادس، ثم تظهر في الأسبوع السابع الرحمي مراكز تمعظم في جسم الفقرات الغضروفية، وفي الأسبوع الثامن يظهر مراكز تمعظم في أقواس الفقرات وتبدأ الأضلاع عندئذ في الظهور، وتتكون العضلات حول العظام وتكسوها باللحم كما ذكرته الآية الكريمة.

وتنقسم عظام الجسم إلي نوعين :

النوع الأول: عظام غضروفية: وهي التي تتكون من الغضاريف أولاً، ثم تمتلئ بالعظام تدريجياً، وهذه العظام الغضروفية تشمل معظم عظام الجسم، فعظام الأطراف العليا والسفلى كلها من العظام الغضروفية، وكذلك عظام الفقرات، بل إن جزءاً من قاع الجمجمة هي عظام غضروفية.

النوع الثاني: عظام غشائية: وهي التي كانت نسيجاً من الغشاء ثم بني عليها العظم دون أن تسبقه مرحلة نشوء الغضاريف ومن العظام الغشائية عظام الجمجمة(١).

(١) خلق الإنسان ص٢٨١. وانظر مع الطب في القرآن الكريم ص٨٢/٨٣، وانظر العناية بالحامل ص١٨ وما بعدها هذا: وقد جاء في كتاب رحلة الإيمان في جسم الإنسان للدكتور/ حامد أحمد حامد ص٣٥١ تحت عنوان : مراحل نمو العظام : (مرحلة الجنين)... إن الطبقة الميزودرمية أو الورقية المتوسطة بالمضغة تتحول إلى بدنات تشكل بدايات الهيكل العظمي، وتبدأ في الظهور منذ اليوم العشرين من العمر – أي الحمل – وتكتمل مع نهاية اليوم الثلاثين، ومن هذه البدنات نوعان :

أ– أمامية أنسية. =

= ب– ظهرية وحشية.

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾[1].

وقد أقر علماء الغرب وجهابذة الطب الحديث، وعلم الأجنة من غير المسلمين بهذا الإعجاز القرآني الرائع.

فقد اعترف الأستاذ الدكتور/ (كيث مور) أستاذ علم الأجنة في جامعة تورنتو بكندا، والذي يُدَرَّسُ كتابه في معظم جامعات العالم (ومترجم إلى الألمانية والفرنسية والبرتغالية والأسبانية والإيطالية واليابانية) اعترف بأن التقسيم القرآني لمراحل الجنين أفضل وأدق من تعريفات تقسيمات علماء الأجنة في القرن العشرين في البحث الذي ألقاه في المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض[2].

وتتشكل من هذه البدنات فقرات الهيكل العظمي كما يلي :

تحتوي البدنات الأمامية الأنسية على خلايا مكونة للألياف، وأخرى مكونة للغضاريف، ونوع آخر مكون للعظام.

وتنمو هذه الخلايا خلال الأسبوع الخامس والسادس أمام القناة العصبية وتتشكل فيما بينها لتكون الهيكل العظمي بالتحام كل قطعتين متجاورتين فتشكل (٤) كتل بدنية لتكون قاع الجمجمة ومؤخرة الرأس، وتتميز (٨) كتل كفقرات للعنق وتليها (١٢) كتلة كفقرات صدرية ثم (٥) كتل كفقرات قطنية ثم (٥) كتل كفقرات عجزية، ثم (٨–١٠) كتل كفقرات عصعصية تندثر معظمها وتلتحم في عظم العصعص (الذنب).

ويواكب هذا التطور نمو خلايا بالوريقة المتوسطة لتكون الأدمة (الجلد الحقيقى) والعضلات. وبالتحام كل قطعتين هيكليتين متجاورتين لتكوين جسم الفقرة تندفع القطع العضلية لتغطيتها وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: " فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ". من الآية ١٤ من سورة المؤمنون.

(١)من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة.

(٢) كان هذا المؤتمر بالرياض في الفترة من ٢٤ – ٢٨ من المحرم ١٤٠٤هـ.

انظر الجنين المشوه والأمراض الوراثية : الأسباب والعلامات والأحكام. د/ محمد على البار ص٤٦ الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م. دار القلم. دمشق، دار المنارة. جدة.

المبحث السادس

قوله تعالي: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾

(نفخ الروح)

وفيه مطلبان

المطلب الأول : الْخَلْق الآخر عند المفسرين والأطباء

المطلب الثاني : الروح. ماهيتها وأقوال العلماء فيها

المطلب الأول
(الخلق الآخر) عند المفسرين والأطباء

يقول القرطبي : اختلف الناس في الخلق الآخر : فقال ابن عباس والضحاك وغيرهما هو نفخ الروح[١] فيه بعد أن كان جماداً[٢] .

ويقول ابن كثير : أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر، ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب[٣].

قوله سبحانه " فتبارك الله أحسن الخالقين " يقول ابن كثير : يعنى حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوى الكامل الخلق قال : " فتبارك الله أحسن الخالقين ".

---

(١) الكلام عن الروح ترجئه بمشيئة الله في نهاية هذا المبحث لأهميته واستقلاله ليكون ذلك في مطلب خاص.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٥٠١/٧. دار الريان للتراث. القاهرة.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٠/٣ طبعة الحلبي.

وقال ابن كثير أيضاً في قوله تعالى : " ثم أنشأناه خلقاً آخر " عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله: " ثم أنشاناه خلقاً آخر " يعنى فنفخنا فيه الروح. وكذا قال مجاهد. وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس والسوى وابن زيد، واختاره ابن جرير.

وقال العوفي عن ابن عباس : " ثم انشأناه خلقاً آخر " يعنى ننقله من حال إلى حال، إلى أن خرج طفلاً، ثم نشأ صغيراً، ثم احتلم، ثم صار شاباً، ثم كهلا، ثم شيخاً ثم هرماً. وعن قتادة والضحاك نحو ذلك. ولا منافاة، فإنه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والأحوال. والله أعلم.

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع صدر الآية إلى قوله تعالى: " خلقاً آخر " قال على البديهة : فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: " هكذا أنزلت "(١).

" تبارك الله أحسن الخالقين " " تبارك " تفاعل من البركة. " أحسن الخالقين" أتقن الصانعين، يقال لمن صنع شيئاً خلقه وذهب بعض الناس إلى نفى هذه اللفظة عن الناس، وإنما يضاف الخلق إلى الله تعالى.

وقال ابن جريج : إنما قال : " أحسن الخالقين " لأنه تعالى قد أذن لعيسى عليه السلام أن يخلق ولا تنفى اللفظة – عن البشر في معنى الصنع، وإنما هي منفية بمعنى الاختراع والإيجاد من العدم(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٥٠٢/٧. وقد جاء فيه : وفي مسند الطيالسي : ونزلت " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ".
الآية فلما نزلت قلت أنا : تبارك الله أحسن الخالقين. فنزلت " تبارك الله أحسن الخالقين".
ويروى أن قائل ذلك معاذ بن جبل، ولكن ابن كثير ضعف هذا في تفسيره. فقد روى عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الأنصاري قال : أملى عَلَىَّ رسول الله ﷺ هذه الآية " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين " إلى قوله:"خلقاً آخر ".
فقال معاذ : " فتبارك الله أحسن الخالقين " فضحك رسول الله ﷺ: فقال له معاذ: مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال: " بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين " يقول ابن كثير : وفي إسناده جابر بن زيد الجعفي. ضعيف جداً، وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك أن هذه السورة مكية، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذا إسلام معاذ ابن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً. والله أعلم. تفسير القرآن العظيم ٢٤١/٣ / ٢٤٢.
وروى أن قائل ذلك : عبدالله بن أبي سَرْح. وبهذا السبب أرتد وقال: آتي بمثل ما يأتي محمد، وفيه نزل قوله سبحانه : " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا، أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله" من الآية ٩٣ سورة الأنعام. القرطبي ٤٥٠٢/٧.

(٢) القرطبي ٤٥٠٢/٧. طبعة دار الريان للتراث. القاهرة.

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (٢).

وقال ﷺ فيما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح... " (٣) .

وقال ابن القيم (٤) : " فإن قيل : الجنين قبل نفخ الروح فيه، هل كان فيه حركة وإحساس أم لا ؟ قيل : كان فيه حركة النمو والاعتذاء كالنبات، ولم تكن حركة نموه واعتذائه بالإرادة، فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسيته وإرادته إلى حركة نموه واعتذائه ".

إن الروح أمر مجهول(٥)، لا نقول فيه إلا أنه من أمر ربي، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً ولكن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه كرم ابن آدم بنفخ الروح فيه.

وكذلك كرم نبيه آدم عليه السلام حيث جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه.

---

(١) الآيات ٧–٩ من سورة السجدة.

(٢) الآية ٧٢ من سورة ص.

(٣) متفق عليه. فتح الباري ١٣/٤٤٠ باب قوله تعالى : " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين"، وجـ١١ ص٤٧٧. من فتح الباري أيضاً كتاب القدر. وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٨٩. وورد الحديث كذلك في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص٤١.

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص٢٢١.

(٥) خلق الإنسان ص٣٥٢، وانظر تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص١٧٤، وانظر رحلة الإيمان في جسم الإنسان ص٧٠.

والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يوضح لنا متى تنفخ الروح في الجنين فيقول : إن ذلك إنما يكون بعد مروره في مراحل وأطوار مختلفة.

النطفة أولاً: وقد بيناها من قبل وقلنا : إن المبيض عند المرأة إنما يفرز بويضة واحدة في الشهر، تمكث بعد ذلك يوماً أو يومين على الأكثر، ليتم تلقيحها بإذن الله تعالى بالحيوان المنوي (نطفة الرجل) وتتحد النطفتان لتكونا معاً النطفة الأمشاج، أو نطفة الزيجوت، المختلطة من ماء الرجل (الحيوان المنوى) وماء المرأة (البويضة) وتنمو النطفة الأمشاج لتصبح مثل الكرة أو التوتة، ثم تعلق في الرحم بعد أسبوع من تكوينها (أي النطفة الأمشاج) وتكون علقة بجدار الرحم، ثم تكون مضغة يتخلق منها الجنين وتتكون أعضاؤه.

وفي هذه الأثناء تتكون العظام، ثم يكسوها اللحم (العضلات) وتتكون وتتكامل الأجهزة : القلب [(١)]، الكبد، الأطراف، السمع، البصر، الدماغ... وتبدأ في الجنين حركات إرادية في نهاية الشهر الثالث، يمص أصابعه، يمسك بالحبل الُسَّريّ ويصبح كثير الحركة... يتقلب في الرحم، ينام ويصحو، يسمع الأصوات، تكتب على جبينه وترسم كتابة لا نظير لها على الإطلاق[(٢)] تتضح معالم

(١)اختلف الأطباء في أول عضو يتكون أو يتخلق من الجنين : أهو القلب أم الكبد أم الرأس أم غير ذلك ؟ يقول الطبيب ابن سينا: والحق أن أول عضو يتكون هو القلب. القانون في الطب ٥٥٧/٢.

وقد أيد داود الانطاكي كلام ابن سينا هذا. انظر النزهة المبهجة لداود الأنطاكي بهامش تذكرته ١٥٠/١٤٩/١.

(٢)قد ورد أن هذه الكتابة تكون بين عيني الجنين، ففي مسند البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال:" إذا خلق الله النسمة، قال ملك الأرحام. أي رب أذكر أم أنثي؟ قال: فيقضي الله إليه أمره ثم يقول: أي رب أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله إليه أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاق حتى النكبة ينكبها ". =

= ورد الحديث موقوفاً عن ابن عمر. وقد روى أنه تقترن بهذه الكتابة أنه يخلق مع الجنين ما تضمنت من صفاته القائمة، فروي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:" إن

شخصيته المتفردة عن جميع البشر الذين سبقوه، أوعاصروه، أو سيلحقونه، بصمات أصابعه المتفردة تظهر في نهاية الشهر الثالث. الكتابة والرسم العجيب على جبينه يظهر في الشهر الثالث.

المشيمة(١) تستقل بوظيفتها في الشهر الثالث.

الكبد والقلب والدماغ والأطراف والسمع والبصر. يكتمل بناؤها الأساسي في نهاية الشهر الثالث(٢).

الله إذا أراد أن يخلق الخلق بعث ملكاً فدخل الرحم فيقول: أي رب ماذا؟ فيقول: غلام أو جارية، أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم فيقول: أي رب أشقى أم سعيد؟ ويقول: أي رب ما أجله؟ فيقول : كذا وكذا، فيقول: ما خلقه ما خلائقه؟ فيقول: كذا وكذا، فما من شيء إلا وهو يخلق معه في الرحم" أخرجه أبو داود في كتاب القدر.

وبكل حال فهذه الكتابة التي تكتب للجنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى:" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها" من الآية ٢٢ من سورة الحديد.

جامع العلوم والحاكم لابن رجب الحنبلي ص٧٠ وما بعدها. اعتني به. حسن أحمد إسْبَر.

(١) المشيمة: عضو يقع عند نهاية الحبل السري يتصل بباطن الرحم، وهو الذي يسمى (الخلاص) إذ أنه يخرج من الرحم بعد الولادة فيكون خلاصاً منها. العناية بالحامل ترجمة د/ على إبراهيم ص١٢٨/٢٧. وسنتكلم بمشيئة الله عنها بعد قليل ببيان أهميتها ووظيفتها.

(٢) من الجدير بالذكر أن نذكر هنا أنه في الأشهر الثلاثة الأولى للحمل تشعر المرأة بغثيان ودوار كما أنها تطلب أشياء غريبة ونادرة من الطعام، وهو ما يعرف لدى النساء باسم (الوَحَم). وهذا معروف في اللغة أيضاً.

فقد جاء في الصحاح للجوهري ٢٠٤٩/٥ الوَحام والوِحام – بفتح الواو وكسرها – شهوة الُحْبَلي. يقال: وحِمت الُحْبَلي تَوْحَم وَحَماً: اشتهت شيئاً على حبلها. والوَحَم : اسم لما يشتهى. وأنظر المعجم الوسيط ١٠١٨/٢. =

= والوحم عند المرأة الحامل نتيجة تصور مجموعها العصبي المتهيج. النسل والعناية به عمر رضا كحالة ٦٣/١ والعناية بالحامل ص١٢٥.

وجاء في دليل المرأة الطبي تأليف ديفيد رورفيك ص١١٩ (الحنين إلى أنواع معينة من الطعام أثناء الحمل دليل على حاجة الجسم إليها. هذه أسطورة).

(الحقيقة: لم تثبت الدراسات هذا أو تنفيه. قد تكون الحاجة نفسية لا جسمانية، والحامل تحن في العادة إلى الأنواع التي تميل إليها وتفضلها، ومن غير المحتمل أن تطلب فجأة الفراولة (الفريز) مثلا إن كانت لا تحبه. والأمر الأكيد أن الحنين إلى أنواع من الطعام أقل كثيراً بين النساء الحوامل اللاتي لم ينقصهن شئ من الغذاء، وأنه صفة ملازمة للمرأة المحرومة نوعاً ما).

وجاء في تنظيم الحمل بالوسائل العلمية الحديثة للدكتور/ سبيرو فاخوري ص٢٧٠/٢٧١ تحت عنوان: الاضطرابات النفسية والعصبية (الوِحَام) : هي أيضاً من علامات الحمل الأولى، ولكنها أقل مصادفة من الاضطرابات الهضمية، وهي كناية عن تبدل كبير في الأخلاق، وتطور غريب في الأطوار، بحيث تظهر تارة بقرف خاص من جانب الحامل لبعض الأطعمة، وطوراً يميل إلى البعض الآخر منها، وخاصة البروتينية والسكرية، فتارة تطلب السمك مثلاً، وتأكل الخيار، طوراً تشرب الخل، أو تقضم الشيكولاته وبالاختصار أنها تطلب أشياء تختلف عن غذائها العادي.

وعلاوة على تقلبات الشهية نلاحظ اضطرابات نفسية قد تكون خفيفة أحياناً أو عنيفة أحياناً أخرى، فتشعر الحامل بهبات حارة أو بصداع أو بدوار، أو بميل إلى الغثيان، وكثيراً ما تشتكي شدة ميلها إلى النوم، وغالبية الأطباء مجمعون على أن أسباب الوحام نفسية، إذ ثبت أن المنظر البشع، والرائحة الكريهة تسببان تعكير صفو النفس وتثير الوحام.

وقد تمكن الطب حديثاً من اكتشاف أدوية قوية وفعالة تخفف من شدة الوحام وآلام الرأس والدوخة، وتوقف القئ، وهذه الأدوية من نوع المهدئات والمسكنات اختلفت أسماؤها، واتفقت تراكيبها، ولكن قوة الإرادة هي الدواء الأمثل. فإذا سيطرت المرأة على هذه الآلام بدلاً من أن تتخوف في المساء مما يخبئه لها الصباح كان من الطبيعي أن تسيطر على نفسها. انظر أطفال تحت الطلب للدكتور/ صبري القباني ص١١٨ الطبعة السابعة والعشرون. يناير ١٩٨٢م. دار العلم للملايين. =

= وانظر: على عتبة الأمومة. أو طفلك بين الحمل والولادة د/ محمد فتحى ٣٧ الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م. دار الأندلس. بيروت.

وفي نهاية هذا الشهر أيضاً – الثالث – تتميز الأعضاء التناسلية الباطنة والظاهرة، ويمكن التفريق بين الذكر والأنثي، كما أنه يمكن في هذه المرحلة معرفة بعض الأمراض الوراثية للجنين بعد إجراء فحوص معينة.

وفي هذه الفترة أيضاً يتخذ وجه الجنين الشكل الإنساني المميز، أما قبل ذلك فشكله يشبه شكل جنين السمك، أو الطائر، أو الأرنب، أو القرد.

وفي هذا الشهر – الثالث – تظهر السمات الإنسانية، ويكتمل نمو الوجه تقريباً، وتكسي العظام بالعضلات، ويكتمل تغذية العضلات بالأعصاب، وتستلم الأعصاب رسائلها وأوامرها من الدماغ وتبدأ العضلات الإرادية للتحرك بل ان عضلات الوجه تعبر عن حالة الجنين وما يعانيه.

وفي نهاية هذا الشهر – الثالث – الجنين يسمع، الجنين يتحرك إرادياً، الجنين ترتسم على وجهه علامات الرضا أو الضيق.

أليست هذه كلها دلائل على نفخ الروح ؟ بلى.. ويؤكدها[1] الحديث الشريف[2]

وانظر : دليل العائلة في الحمل والولادة. ولادة بلا ألم د/ سمير غُوَيْبَة ص٢٥. مكتبة ابن سينا. القاهرة.

(١)خلق الإنسان ص٣٥٢ / ٣٥٣.

(٢)وهو ما ذكرناه. وهو قوله ﷺ: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح " متفق عليه.

فتح الباري ١٣ / ٤٤٠ وجـ ١١ ص٤٧٧. ومسلم بشرح النووي ١٨٩/١٦.

المطلب الثاني
الروح
ماهيتها وآراء العلماء فيها

البعد الإنساني (الروح)[1]

(١) الروح– بضم الراء المشددة– كما جاء في تاج العروس ١٤٨/١٤٧/٢.
الجمع: أرواح. أي: النَّفْس. وفي التهذيب. قال أبو بكر الأنباري: الروح والنفس واحد غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب. وفي التنزيل: " ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي" من الآية ٨٥ من سورة الإسراء. وتأويل الروح أنه ما جاء به حياة الأنفس. والأكثر على عدم التعرض لها لأنها معروفة ضرورة.
ومنع أكثر الأصولين الخوض فيها، لأن الله أمسك عنها فنمسك.
وروى الأزهري بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما– في قوله تعالى:" ويسئلونك عن الروح" قال: إن الروح قد نزل في القرآن بمنازل، ولكن قولوا كما قال الله تعالى: "قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"
وقال الفراء : الروح هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر الله تعالى به أحداً من خلقه، ولم يعط علمه العباد.
قال : سمعت أبا الهيثم يقول: الروح إنما هو النفس– بفتح النون المشددة مع فتح الفاء– الذي يتنفسه الإنسان وهو جار في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه. فإذا تم خروجه بقي بصره شاخصاً نحوه حتى يغمض.
قال الزجاج: جاء في التفسير أن الروح الوحي، ويسمى القرآن روحاً.
وقوله تعالى: " يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده" و " ينزل الملائكة بالروح من أمره" قال أبو العباس: هذا كله معناه الوحي. سمى روحاً لأنه حياة من موت الكفر فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان.
وقال ابن الأثير: وقد تكرر ذكر الروح في القرآن والحديث، ووردت فيهما على معان. والغالب منها، أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة. وقد أطلق على القرآن والوحي، وعلى جبريل في قوله تعالى الروح الأمين، وهو المراد بروح القدس.=

جاء في كتاب : (مع الطب في القرآن الكريم) (١)

البُعْدُ الإنساني هو البُعْد الذي جعل من الطين بشراً كريماً تسجد له الملائكة المكرمون.

= والروح عيسى عليه السلام. وجاء في التفسير أن الروح حكم الله تعالى، وأمره بأعوانه وملائكته.

وقوله تعالى: " يوم يقوم الروح والملائكة صفا" قال الزجاج: الروح خلق كالأنس، وليس هو بالإنس.

وقال ابن عباس: هو ملك في السماء السابعة، وجهة كوجه الإنسان، وجسده كالملائكة، أي على صورتهم.

وقال أبو العباس: الروح حفظة على الملائكة الحفظة على بني آدم، ويروى أن وجوههم وجوه الإنس، لا تراهم الملائكة، كما أنا لا نرى الحفظة ولا الملائكة.

والروح – بفتح الراء المشددة وسكون الواو – الراحة والسرور والفرح. وفي تفسير قوله تعالى: " فروح وريحان " معناه فاستراحة قال الزجاج: وقد يكون الرَّوْح بمعنى الرحمة قال تعالى: " لا تيأسوا من روح الله" أي من رحمة الله. سماها رَوْحاً لأن الروح والراحة بها. قال الأزهري: وكذلك قوله في عيسى " وروح منه" أي رحمه منه تعالى. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : الريح من روح الله. تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وأسألوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شرها. تاج العروس. المرجع السابق، والصحاح للجوهري ٣٦٧/١ والقاموس المحيط ٢٢٤/١، والمعجم الوسيط ٣٨٠/١.

وقال داود الأنطاكي : الروح عبارة عما به يجب الإحساس للأعضاء، فهي فيض إلهي محرك بلطفه، وموجب للكثيف خفة ونشاطاً، وأهل الشرع قد حبسوا عن الكلام فيها أعنة الألسنة والأقلام بزاجر قوله تعالى: " قل الروح من أمر ربي" النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة. لداود بن عمر الأنطاكي بهامش تذكرته المعروفة بتذكرة أولى الألباب. الجامع للعجب العجاب ١٥٨/١٥٧/١. المكتبة الثقافية. بيروت. لبنان.

(١) للدكتورين، عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ص٨٥، ٨٦ تقديم د/ محمود ناظم نسيمي.

قال تعالى: " ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾"(١).

وهو بُعْدُ الحياة الإنسانية – وليس الخلوية(٢) – الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى للإنسان وهو ما يزال في بطن أمه. عندما يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح.

---

(١) الآيتان ٧١، ٧٢ من سورة ص.

(٢) ومما يذكر بهذا الخصوص، ورأينا من الضروري ذكره هنا لأهميته، وقوة إعجازه هو الآتي:

حدثت ندوة طبية في نقابة أطباء دمشق، وبحث موضوع الإجهاض من زوايا متعددة، وكان ممن تحدث في الندوة أحد علماء الدين المسلمين. وتناول الموضوع من الناحية الفقهية الشرعية. واستشهد بحديث الرسول ﷺ الذي يشير إلى أن نفخ الروح يتم بعد ١٢٠ (مائة وعشرين يوماً).

والحديث الذي استشهد به حديث صحيح رواه البخاري ومسلم. وليس ثمة مطعن عليه.

ثم تحدث بعده أحد المبشرين وكأنه – وبفعل ثقافته العلمية التخصصية– أراد أن يدخل من هذه الزواية ليطعن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يرفع راية العلم مستتراً خلفها فقال: هناك تعارض ما بين العلم وما أشار إليه الحديث النبوي، لأن العلم يقول : إن الحياة موجودة منذ الخلية الملقحة الأولى، أي في الأيام الأولى للحمل.

وبالطبع كان الموقف محرجاً، ويحتاج إلى تدخل سريع، وبديهية حاضرة، وعلم عصري واسع، وقد حصل هذا الشئ ولله الحمد، فقد انبري له شاب مسلم طبيب، بثقافة معاصرة واسعة، وبحماس المؤمنين حينما قال: يجب أن نفرق ما بين الحياة الخلوية والحياة الإنسانية. فالحياة موجودة في البييضة والنطفة حتى ما قبل التلقيح، وهي في صلب الرجل، أو بطن المرأة، ولكن الروح التي أشار إليها الحديث، هي تلك الروح العاقلة عند الإنسان، والتي تشكل البُعْد الجديد، والتي لا أعرفها بالضبط، لا أنا ولا أنت، ولا العلم لديه الجواب الكافي عن ما هيتها.

وكان جواباً مفحماً، وصدق الله إذ يقول: " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم لمن العلم إلا قليلاً" الآية ٨٥ من سورة الإسراء.

وكذب الخراصون الذين هم في غمرة ساهون. الطب محراب الإيمان د/خالص جلبي ٥٣/٢.=

وقد بين ذلك أيضاً حديث رسول الله ﷺ بقوله: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفه، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح "[1] وذلك بعد مائة وعشرين يوما. أي بعد أربعة أشهر. وهذا ما يطابق معطيات العلم الحديث[2].

هذا: وغاية الإعجاز في هذا ما ذكره الدكتور/ عبد الحميد دياب، والدكتور/ أحمد قرقوز[3] أن الدكتورة/ ملك الجعفري تذكر : (أن أحد الأساتذة المصريين أراد تسجيل أول دقة للقلب، وعندما ابتدأ مشعر المسجل بالحركة قال: هنا الله. أي : هنا قدرة الله)[4].

= ومن العجيب أن ما ذكره الطبيب الشاب المسلم في العصر الحديث وجدته– كاتب هذا البحث – في القديم عن داود الأنطاكي فقد ذكره في تذكرته حيث قال في معرض حديثه عن أطوار الحمل كما تضمنته الآية الشريفة، وأنها سبعة كالكواكب:... والطور السادس... يتحول خلقاً آخر في تمام الأطوار مغايراً لما سبق، وتمتلئ تجاويفه بالغريزية، وتظهر فيه الغاذية، بل النامية الطبيعية، وهنا يكون كالنبات إلى نحو المائة، ثم يكون كالحيوان النائم إلى عشرين بعدها، فتنفخ فيه الروح الحقيقية.

ثم يقول داود: وبما قررناه يرتفع الخلاف المشهور بين الفلاسفة حيث حكموا بنفخ الروح في رأس سبعين يوماً. وبين صاحب الشرع عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه..." إلى آخر الحديث. لأنهم – الفلاسفة– اعتدوا بالروح الطبيعية، وهي حاصلة للنبات، وهو عليه الصلاة والسلام لم يسم روحاً إلا التي تستقل بها الإنسانية. فافهم ذلك.

تذكرة أولى الألباب ١٤٤/٢.

(١)رواه الشيخان. فتح الباري ٤٤٠/١٣، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٨٩/١٦.

(٢)مع الطب في القرآن الكريم ص٨٥، ٨٦.

(٣)في مؤلفهما مع الطب في القرآن الكريم ص٨٣.

(٤)جاء في كتاب : (على عتبه الأمومة، أو طفلك بين الحمل والولادة) للدكتور / محمد فتحي ص٤٣ وما بعدها : الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م دار الأندلس ما يلي : = =لقد

انشغل البشر بمسألة غامضة خفية، منذ بدأ تسجيل الفكر البشري الإنساني. وهذه المسألة هي: متى يصبح الجنين مخلوقاً بشرياً حياً ؟.

واختلف الحساب. وتباين الاستنتاج في تحديد وقت حيوية الجنين.

وزعم (هبوقراط) في القرن الخامس قبل الميلاد أن الحياة تدب في الجنين الذكر بعد ثلاثين يوماً من الحمل، بينما تحتاج الأنثي إلى ٤٢ يوماً بعد بدء الحمل. وبعد ذلك بقرن جاء الرواقيون (ويدعو مذهبهم إلى تقبل الألم بالرضي) وعلموا لناس أن الطفل يظل خالياً من الحياة طوال فترة الحمل : ولا تدب فيه الحياة، إلا مع النفس الأول.. وظل هذا الرأي مقبولاً حتى القرن الثاني بعد الميلاد، حين أكد مجمع أثينا أن الطفل يبدأ يحيا في فترة محددة معينة من الحمل، ويذهب هذا الرأي إلى أن الحياة تسرى في الطفل بعد بدء الحمل بعدد محدد من الأيام، وظل هذا الرأي مقبولاً في قانون كنيسة روما. ولكن الأفاضل المشهورين اختلفوا اختلافاً عظيماً في تحديد اليوم الذي تبعث فيه الحياة في الجنين.

وعيَّن (باولوزاكياس) نفسه وسيطاً في هذا الأمر (وكان طبيب البابا إنو سنت العاشر في القرن السابع عشر) واقترح وجود ٦٠ يوماً لتكون فاصلاً بين الجنين من الحياة، والجنين الذي دبت فيه الحياة. وفي الجزء الأخير من القرن الثامن عشر عدلت الكنيسة آراءها وآمنت بأن الحياة تدب في الجنين منذ يبدأ الحمل. وكان الإيمان ببطء نمو الجنين الأنثي منتشراً في العصور القديمة، حين كان الرجال وحدهم دون النساء هم الذين يقرؤون الكتب. ونجد في التلمود : أن الجنين الذكر يكتمل نموه بعد ٤١ يوماً، بينما يحتاج اكتمال نمو الأنثي إلى ٨١ يوماً.

وكان القانون الإنجليزي دائماً لا يعتبر الجنين جزءاً من أعضاء الجسم ما لم تدب فيه الحياة، حتى يمتلئ بالحياة ويتحرك، ومن ثم كان للتفريق القانوني عواقب قانونية كبيرة من حيث النظر إلى الجنين الذي لا حياة فيه ولا حركة، والجنين المتحرك. ويكتسب الجنين حقوقه في نظر القانون بعدما يتحرك، ويعاقب من يعتدي عليه في هذه الحال وكان لهذا التفريق القانوني عدة تطبيقات وآثار عملية.

ولم يكن في الإمكان شنق امرأة حامل في انجلترا، إذا كان الجنين قد تحرك، لأن شنقها بعد تحرك الجنين جريمة ضده. =

= وصدر في انجلترا سنة ١٨٠٣م قانون : "إلنبره" الذي ينص على أن أي شخص يستعمل – قاصداً متعمداً أو مدفوعاً بالشر أي وسيلة لإحداث الإجهاض في امرأة، لم

أقول : – المؤلف – سبحان الله. فكما أن بداية نشأة الإنسان بها حياة إنسانية، وحياة تسمى بالحياة الخلوية. فكذلك نهاية حياته، بها موت حقيقي، وموت يسمى بالموت الخلوي.

يقول الدكتور/ السيد سلامة السقا، تحت عنوان : (بين الحياة والموت)[1].

يبدو لكثير من الناس أن تشخيص الموت من الأمور السهلة كما يحدث عادة، ولكن عندما يكون تحديد لحظة الوفاة بدقة مطلوباً وله أهمية كبري، فإن الأمر يختلف ويصل إلى حد المشكلة التي قد يصعب حلها.

ولا شك أن الكثيرين منا يعرفون ما تقوم به أجهزة الإنعاش الصناعي في كثير من الأحيان من تنشيط لحركات القلب والرئتين لفترات طويلة مبقية على المريض في حالة غير عادية، هي بين الحياة والموت، فيما يرى الناس، فلا المريض بحي، ولا هو بميت في نظر الطب الراهن.

ومن هنا بدأت التساؤلات والمناقشات حول " تعريف الموت " وانتهى الأمر إلى القول بأن الموت يمر بمراحل :

يتحرك جنينها فيكون عمله خيانة، قد يحكم عليه بالغرامة، أو يوضع في مقعد تثبت فيه الرأس واليدان في حلقات خاصة، أو يجلد علنا، أو ينفي مدة لا تتجاوز ١٤ سنة، أما إذا كان هذا الاعتداء بعد تحرك الجنين في بطن أمه فإنه يعاقب بالموت.

وقوانين الإجهاض الأمريكية لا تفرق في الجريمة بين أي مرحلتين من مراحل الحمل، ثم إن القانون في معظم الولايات الأمريكية لا يسمح بشنق حامل، بغض النظر عن مرحلة الحمل، وينفذ الحكم بعد الولادة بمدة تكفي لرعاية الطفل.

وكانت امرأة حامل قد حكم عليها بالإعدام في أمريكا، ومنحت المدة العادية السابقة للشنق بسبب حملها ولكنها استطاعت بمعونة أحد السجَّانين أن تحمل مرة ثانية بعد ولادتها بمدة قصيرة، قبل تنفيذ حكم الإعدام الثاني، ومن ثم منحت فترة ثانية لتلد ابن السجان.

(١)في مجلة منار الإسلام. العدد التاسع. رمضان ١٤٠٥هـ – يونيو ١٩٨٥م ص٧٠/٧١

فالمرحلة الأولى : والتي تعرف " بالموت الإكلينيكي "[1] يتوقف فيها القلب والرئتان عن العمل، في حين تظل خلايا الدماغ حية لبضع دقائق يمكن خلالها بواسطة وسائل الإنعاش الصناعي إعادة القلب والرئتين إلى العمل وإنقاذ خلايا الدماغ من الموت، وفي تلك المرحلة يعتبر المريض ما زال حيا، ولا يحق للطبيب أن يوقف أجهزة الإنعاش عنه، إلا إذا ثبت توقف الدماغ عن النشاط، ويعرف ذلك بواسطة الرسام الكهربائي لنشاط الدماغ الذي يظهر كموجات خاصة يسجلها الجهاز.

المرحلة الثانية: وتبدأ " المرحلة الثانية" للموت عند موت خلايا الدماغ، فتتوقف الإشارات الكهربائية التي يسجلها جهاز الرسم الكهربائي لنشاط الدماغ، وهذه المرحلة تأتي خلال بضع دقائق من توقف تدفق الدم إلى الدماغ، وفي هذه الحالة لا يمكن بأي وسيلة معروفة حتى الآن، إعادة الدماغ إلى حالة النشاط أو العمل، وبذلك يعتبر المريض قد مات موتاً حقيقياً، وبالتالي ترفع عنه أجهزة الإنعاش، وتعلن وفاته رسمياً.

المرحلة الثالثة: أما " المرحلة الثالثة" فهي التي تلي موت خلايا الدماغ بفترة تختلف من عضو لعضو، وتبعاً لاعتبارات كثيرة، حيث تبقى خلايا الجسم حية لفترات متفاوتة تموت بعدها، ويعرف ذلك " بالموت الخلوي" ولذلك فإنه قبل حدوث الموت الخلوي يمكن لبعض الأنسجة منفصلة – وليس الجسم ككل – أن تستمر في عملها بواسطة أجهزة الإنعاش الصناعي، كما يحدث عند موت أحد رؤساء الدول مثلاً، وتوقف خلايا دماغه عن العمل وموتها، فإن الأطباء يستمرون في تشغيل أجهزة الإنعاش الصناعي المتصلة بقلبه ورئتيه، لا لسبب، غير تأجيل إعلام موته، حيث لا تكفل الأجهزة إلا نوعاً من الحياة الصناعية – إن جاز هذا التعبير – لبعض خلايا وأنسجة الجسم الذي يكون قد مات فعلاً وشبع موتاً.

(١) الإكلينيكي : الأمور الإكلينيكية أي السريرية. الكشفية التي يدخل فيها دور الطبيب.

ونظراً لدقة تحديد مراحل الموت هذه فإن أكثر من طبيب يشترك في تحديد لحظة الموت، وذلك حتى يستطيع الفريق الخاص باستئصال الُّطْعم أن يعمل في الوقت المناسب دون تأخير قد يؤدي إلى تلف الُّطْعم المراد استئصاله[1].

(١)مجلة منار الإسلام. العدد التاسع. رمضان ١٤٠٥هـ – يونيو ١٩٨٥م للدكتور / السيد سلامة السقا ص٧٠/٧١.

المبحث السابع

قوله تعالي: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ ﴿الظلمات الثلاث﴾

وفيه مطلبان :

المطلب الأول في : الظلمات الثلاث عند المفسرين وأهل العلم

المطلب الثاني في : الظلمات الثلاث في علم الأجنة

المطلب الأول

(الظلمات الثلاث) عند المفسرين وأهل العلم

قال الله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾[1].

أكثر المفسرين من قدامي ومحدثين على أن المراد بالظلمات الثلاث في الآية الكريمة هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلم المشيمة.

ويرى البعض أن الظلمات الثلاث هي : ظلمة أصلاب الآباء، وظلمة الرحم، وظلمة البطن[2].

ويقول الطبري: " يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق " أي خلقاً في البطون من بعد الخلق الأول الذي خلقهم في ظهر آدم في ظلمات ثلاث : أي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[3].

ويقول ابن كثير: " في ظلمات ثلاث " يعنى في ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة، والوقاية على الولد، وظلم البطن[4].

ويقول سيد قطب[5] : ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه هذا الكيس، وظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم. وبهذا قال المراغي في تفسيره[6].

ويقول ابن القيم[7]: قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾. إن كل حجاب من هذه الحجب له ظلمة تخصه، فذكر

---

(١)من الآية ٦ من سورة الزمر.

(٢)التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٦/ ٢٤٥. الطبعة الثانية.

(٣)جامع البيان في تفسير القرآن ١٢٥/٢٣ الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ .

(٤)تفسير القرآن العظيم ٤٦/٤ طبعة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

(٥)في ظلال القرآن. المجلد الخامس ٣٠٣٩/٢٤. الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

(٦)تفسير المراغي ١٤٤/٢٣ الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

(٧)تحفة المردود بأحكام المولود ص١٧٦ الطبعة الأولى.

سبحانه أطوار خلقه ونقله فيها من حال إلى حال، وذكر ظلمات الحجب التي على الجنين، فقال أكثر المفسرين : هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، فإن كل واحد منها حجاب على الجنين، وقال آخرون: هي ظلمة أصلاب الآباء، وظلمة بطون الأمهات، وظلمة المشيمة.

وقد ضعف الإمام ابن القيم هذا الرأي الأخير.

المطلب الثاني
الظلمات الثلاث في علم الأجنة

تشير كلمة (ظلمات) إلى الأغشية، وحددتها عدداً كلمة " ثلاث" وحددتها موضعاً كلمة " وفي بطون " أي في أرحام أمهاتكم(١).

وقد تعرض الأستاذ الدكتور / محمد على البار(٢) لتفسير هذه الآية الكريمة عند المفسرين وقولهم : " إن الظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. ولم ينكر عليهم قولهم. غاية ما قاله – الدكتور / البار – فلجدار البطن ظلمة، ثم تليها ظلمة جدار الرحم، ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين.

وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة بالجنين وجدناها ثلاثة :

١- غشاء السلى(٣) أو الأمنيون : ويحيط بالجنين مباشرة.

٢- غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي) أي المشيمة.

٣- الغشاء الساقط.

---

(١)رحلة الإيمان في جسم الإنسان د/ حامد أحمد حامد ص٥٤ الطبعة الأولى.

(٢)خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص٤٢٣ الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٣)السلى: – بفتح السين المشددة وفتح اللام – الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد. يكون ذلك للناس والخيل والإبل والجمع أسلاء.

وقال أبو زيد: السلى: لفافة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس المشيمة، وقال: سليت الشاة: تدلي ذلك منها، وهي إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد والإ قتلت، وكذلك إذا انقطع السلى في البطن، فإذا خرج السلى سلمت الناقة وسلم ولدها. وإن انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد. وفي الحديث أن المشركين جاءوا بسلى جذور فطرحوه على النبي ﷺ وهو يصلى. قيل في تفسيره: السلى : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد، ولا يكون ملفوفا فيه وقيل: هو ي الماشية السلى، وفي الناس المشيمة. والأول أشبه. لأن المشيمة تخرج بعد الولد، ولا يكون الولد فيها حين يخرج. لسان العرب. المجلد الرابع عشر ص٣٩٦ طبعة بيروت ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م. والمعجم الوسيط ٤٤٧/١ الطبعة الثانية.

ولنتحدث عن كل واحد من هذه الأغشية الثلاث بشئ من الإيضاح المناسب لطبيعة البحث.

أولاً: غشاء السلى أو الأمنيون[1] :

ويدعى أيضاً الرهل، كما يعرف بالغشاء الباطن، لأنه يحيط بالجنين من كل جانب، وهو عبارة عن كيس غشائي رقيق ومقفل يحيط بالجنين إحاطة تامة، وبل سائل يزداد مع نمو الجنين حتى يبلغ أوجه في الشهر السابع، حيث يبلغ حجمه لترا ونصف اللتر. ووزنه كيلو جرام، وكلنه يقل بعد ذلك تدريجياً حتى يبلغ حجمه لتراً واحداً فقط قبل الولادة إلا في بعض الحالات الخاصة، والتي يزداد فيها السائل الأمنيوني زيادة مفرطة كالتوائم، والبول السكري، وغيره من الحالات المرضية ولهذا السائل فوائد جمة نجملها فيما يلي :

١- تغذية الجنين : يحتوي السائل الأمنيوني على ماد زلالية وسكرية، وأملاح غير عضوية يمتصها الجنين مما يساعد على نموه وغذائه.

٢- حماية الجنين: ووقايته من الصدمات المفاجئة، والحركات العنيفة والسقطات التي تتعرض لها الأم.

٣- يسمح للجنين بالحركة الكاملة داخل الرحم يمنة ويسره، وأعلى وأسفل، وهو يمسك بالحبل السري في أمان تام[2].

٤- يحتفظ – السائل الأمنيوني – للجنين بدرجة حرارة ثابتة، فهو مكيف جيد، بحيث لا تزيد الحارة ولا تقل.

---

(١)خلق الإنسان ص٤٢٣، وانظر مع الطب في القرآن الكريم ص٨٧، وانظر : العقم عند الرجال والنساء د/ سبيروفاخوري.

(٢)قد يتساءل الإنسان لماذا لا يغرق الجنين ما دام مغموراً في هذا السائل ؟

والجواب: ليس في ذلك أي خطر. إذ أن الجنين لا يستعمل رئتيه في الحصول على الأكسجين اللازم كما يحدث بعد الولادة، ولكنه يحصل على كل ما يحتاجه من أكسجين عن طريق دم أمه، ولا تمتلئ رئتاه بالهواء إلا بعد أن يخرج إلى الدنيا ويرى النور، سبحان الذي خلق فسوى، وقدر فهوى. العناية بالحامل ص٢٨/٢٧ ترجمة د/ علي إبراهيم.

٥- يمنع السائل الأمنيوني غشاء الأمينون من الالتصاق بالجنين، وذلك لأن التصاق الغشاء بالجنين من العوامل الهامة في حدوث التشوهات الخلقية.

هذه هي جملة وظائف السائل الأمينوني أثناء الحمل، أما وظائفه أثناء الولادة فلا تق أهمية عن ذلك، غذ أن السائل الأمينوني يكون جيب[١] المياه الذي يوسع عنق الرحم الذي لا يتسع حتى للخنصر، فإذا به يتسع للوليد بكاملة (أكثر من خمسة أصابع) وفي نفس الوقت يقى الجنين من أن ينحشر وينضغط بين جدران عنق الرحم أثناء الولادة وما يكون فيها من ضغط عالٍ جداً.

ولولا لطف الله سبحانه وتعالى، ثم جيب المياه هذا لتهشم رأس الجنين أثناء الولادة... ولا يكتفي السائل الأمنيوني بكل هذا، ولكنه يقوم بتمهيد وتعقيم الطريق للجنين عندما ينفجر جيب المياه فيقتل الميكروبات الموجودة في المهبل قبيل الولادة مباشرة، حتى يضمن للجنين طريقاً ممهداً في نفس الوقت.

ثانياً: غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي) [٢] :

وهو الثاني من الأغشية التي تحيط بالجنين، ويتوسط بين الغشاء الساقط[٣] من الخارج، والغشاء المنيوسي من الداخل، وغشاء الكوريون هذا هو الذي يسمى بالمشيمة.

المشيمة :

(١)جيب المياه : كما ذكرنا عبارة عن كيس يتكون من أغشية رفيعة تبدأ من أطراف المشيمة، وتحيط بالجنين كل الإحاطة، وهو ممتلئ بسائل مائي قليل الكثافة. انظر العناية بالحامل ص٢٧.

(٢)خلق الإنسان ص٤٢٥، ومع الطب في القرآن الكريم ص٨٧.

(٣)سنتحدث عنه بمشيئة الله عقب الكلام عن الغشاء المشيمي مباشرة.

ذكرنا من قبل أن المشيمة عضو يقع عند نهاية الحبل السري[١]، يتصل بباطن الرحم وهو الذي يسمى (الخلاص) إذ أنه يخرج من الرحم بعد الولادة فيكون خلاصاً منها[٢].

والمشيمة[٣] يساهم في تكوينها كل من الجنين والأم، والمشيمة تتكون من قرصين متلاصقين. فأما الجزء الرحمي (الأم) فهو الغشاء الساقط القاعدي. وأما الجزء الجنيني (الكوريون) فهو الذي ذكرناه قبل سطور.

وتتخذ المشيمة شكل قرص يتفاوت قطره ما بين ١٦ إلى ٢٠ سنتمتر، وتخانته ثلاثة سنتمترات تقريباً، ووزنه خمسمائة جرام (نصف كيلو جرام) وسطحها – المشيمة – أملس ناعم.

وقد وهب الله سبحانه وتعالى لهذا الغشاء الرقيق القدرة على تنظيم تغذية الجنين ووقايته من كل ما قد يضره، كما أنه – هذا الغشاء الرقيق الدقيق – لا يوصل إلى الجنين من الغذاء إلا ما ينفعه. ويسميه البعض: (الغشاء الحيوي المشيمي).

وظيفة المشيمة :

(١) الحبل السرى : هو الحبل المستدير ببطن الطفل في سرته – بضم السين وفتح الراء المشددة– من جهة وبالمشيمة من الجهة الأخرى، ويكون عادة في وسط المشيمة، وقد يتصل بأحد جوانبها، ويحوى الأوعية الدموية التي يمر بها دم الطفل من المشيمة وإليها وطوله ٥٠سم أي نصف متر.العناية بالحامل ص١٢٦، والطب محراب الإيمان ٨٢/١، وخلق الإنسان ص٤٢٧.

(٢) العناية بالحامل ص١٢٨/١٢٧، والعقم عند الرجال والنساء ص٢١٣.

(٣) خلق الإنسان ص٤٢٧.

تقوم المشيمة بوظائف عدة أجهزة في الجسم هي :

١- الجهاز التنفسي : إذ تقوم بإعطاء الجنين الأوكسجين، وتأخذ عنه ثاني أوكسيد الكربون.

٢- الجهازالهضمي: تعطى الجنين الغذاء المهضوم بالقدر المعلوم، وتنوع غذاءه حسب حاجته يوماً بعد يوم فيختلف غذاء الجنين في شهرة الأول. أو الثاني عن غذائه في الشهر الثامن أو التاسع. يختلف نوعاً وكما.

٣- الجهاز البولي: تقوم المشيمة بإخراج المواد الضارة الجنين، والتي تخلفت عن عمليات البناء والهدم المسمرة مثل البولينا وتدفعها إلى دماء الأم.

ولا تكتفي المشيمة بهذه العجائب كلها، ولكنها ترسل هرموناً يثبت الجنين في الرحم، وينمى ثديي الأم استعداداً لإفراز اللبن منهما عندما يخرج الجنين إلى الدنيا، ليجد غذاءه جاهزاً.

هذا: ومن المقرر علمياً وطبياً أن سلامة الحمل متوقفة على سلامة المشيمة، وأن أكثر حالات الإجهاض إنما ترجع إلى خلل في المشيمة[١]. ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك.

ثالثاً: الغشاء الساقط :

وهو ثالث الأغشية التي تحيط بالجنين من جميع جوانبه، وهو مكون من الغشاء المخاطي المبطن للرحم وهو رقيق، وينمو نمواً هائلاً، بتأثير هرمون الحمل (البروجستون) فتزيد تخانته من نصف ميليمتر عند بدء الطهر من الحيض إلى ثمانية ميلمترات آخر الدورة الشهرية، وقبيل الحيض. فإذا ما تم الحمل زادت تخانته أضعافاً مضاعفة.

وقد سمى بالغشاء الساقط لأنه يسقط ويخرج مع دم الحيض إذا لم يكن هناك حما، ويسقط مع الجنين عند الولادة في حالة الحمل[٢].

هذا: وقد قرأت في كتاب (مع الطب في القرآن الكريم) [١] هذا التحقيق :

(١)خلق الإنسان ص٤٢٩/٤٣٠، والعناية بالحامل ص٢٧/٢٨.

(٢)خلق الإنسان ص٤٢٧، ومع الطب في القرآن الكريم ص٨٧.

وبالنظر في الآية الكريمة السابقة: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾. واستناداً إلى المعطيات العلمية التي ذكرناها حول الأغشية الثلاثة– الغشاء الأمنوسي، الغشاء الوريوني، الغشاء الساقط– نجد أنفسنا مرة أخرى أمام إعجاز قرآني جديد، إذ اشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعي لجو الظلمة المحيطة بالجنين، فما أسميناه بالغشاء أسماه القرآن بالظلمة: ظلمة الغشاء الأمنيوسي، وظلمة الغشاء الكوريوني، وظلمة الغشاء الساقط(٢).

وشيء آخر الآية الكريمة هو: تبيانها أن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث : ﴿ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾.

وما ذكره الطب الحديث حسب معطياته العلمية الدقيقة والحديثة من الأغشية الثلاثة المحيطة بالجنين ذكره الطب القديم كذلك منذ قرابة الألف عام.
فقد ذكر هذا الطبيب المسلم الشيخ الرئيس ابن سينا في قانونه حيث قال :
والجنين نحيط به أغشية ثلاثة : المشيمة : وهو الغشاء المحيط به، وفيه تنتسج العروق... والثاني يسمى فلاس وهو اللفائض، وينصب إليه بول الجنين،

---

(١)للدكتورين / عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز ص٨٧.

(٢)قد رد الدكتوران/ عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز تفسيرين الظلمات الثلاث:
أحدهما للدكتور/ محمد وصفى. إذ اعتبر الظلمات الثلاث هي : ظلمة الخصية، وظلمة المبيض، وظلمة المبيض، وظلمة الرحم.
وثانيهما للدكتور/ مصطفى محمود في كتاب (القرآن محاولة لفهم عصري) إذ ورد فيه تفسير الظلمات الثلاث بأنها : ظلمة البطن، ظلمة الرحم، ظلمة الغشاء الأمنيوسي.
قالا: – د/ عبد الحميد دياب ود/ أحمد قرقوز– والواقع أن ما يجعلنا نستبعد هذين التفسيرين هو صريح الآية الكريمة التي تحصر الظلمات الثلاث على أنها داخل البطن. وهكذا فلا يعتبر البطن من الظلمات الثلاث، كما لا تعتبر الخصية منها، لأنها خارج البطن أيضاً. والله أعلم بالصواب. مع الطب في القرآن الكريم ص٨٧.

والثالث: يقال له أنفس... ولم يحتج إلى دعاء آخر لفضل البراز، إذ كان ما يتغذي به رقيقاً لا صلابة له ولا ثقل، إنما تنفصل منه مائيه بول أو عرق. وأقرب الأغشية إليه الغشاء الثالث وهو أرقها ليجمع الرطوبة الراسخة من الجنين، وفي جمع تلك الرطوبة فائدة في إقلاله كي لا يقل على نفسه وعلى الرحم، وكذلك في تبعيد ما بين بشرته والرحم، فإن الغشاء الصلب يؤلمه بمماسته، وأما الغشاء الذ١ي يلي هذا الغشاء إلى خارج فهو اللفائض لأنه يشبه اللفائف، وينفذ إليه من السرة... والمشيمة ذات صفاقين رقيقين[1].

(١) القانون في الطب ٢/٥٥٩.